اقرأ

[٤٨٨]

رمضانيات

مصطفى عبد الرحمن

رمضانيات

أدب - فن - نوادر

الطبعة الثانية

دار المعارف

الناشر : دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج . م . ع .

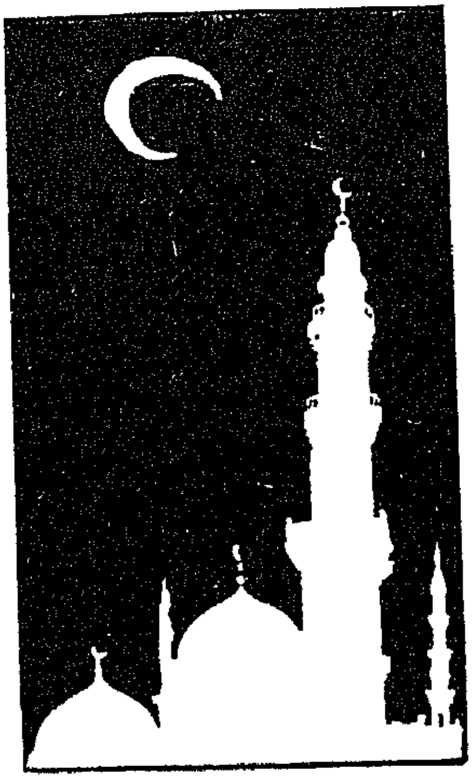

بين يدى رمضان

رمضانُ موسمُ خير ، ومعلمُ برّ ، وشاحذُ هِمَّة ، وراسمُ طريقِ أُمَّةْ ، هو زينُ الزمانْ ، وعين الأَوان ، ومُلتقى العبادات ، ومجمع الخيرات ، وأسمى مواطنِ التقربِ من رَبّ العالمين ، وأجلُّ المواسمِ للصائمين ، والمتعبدين .

قال الرافعى :

فديتُك زائرًا فى كل عامٍ تُحيِّـا بالسلامـةِ والسَّلامِ
وتُقْبلُ كالغمامِ يفيضُ حينًا ويبقَى بعده أَثُرُ الغمامِ
وكم فى الناسِ من كلفٍ مشوقٍ إليك وكم شجيٍّ مستهامِ
بنى الإسلام هذا خير ضيفٍ إذا عشى الكريم ذُرا الكرامِ

إنه رمضان

شاءت إرادة الله أن تتصل فيه الأرض بالسماء فيشرق الإسلام نورًا ، وتضع السماء للأرض دستورًا ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . . إنه القرآن الكريم الذى نزل للناس هدى وبينات من الهدى والفرقان .

وحسب رمضان أن من لياليه ليلة القدر ، و (ليلة القدر خير من ألف شهر ، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ، سلام هى حتى مطلع الفجر) . . .

وكم لهذا الشهر من منازل رفيعة من التكريم الإلهى فى مختلف الأزمنة .

ففى أول ليلة من لياليه نزلت صحف إبراهيم ، ولست منه نزلت التوراة على موسى ، ولثلاث عشرة منه نزل الإنجيل على عيسى ، وفيه أيضاً نزل القرآن الكريم على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد الأمين هدى للعالمين .

ورمضان شهر القوة ، والعزة ، والبطولة والفداء ، فقد اقترن رمضان فى جميع العصور بأبهر آيات المجد والانتصار ، فأعظم مواقف القتال التى انتهت بانتصار الحق على الباطل وقعت فى رمضان .

أليست بدر هى معجزة السماء على الأرض التى أجراها الله على يد نبيه المختار ؟

لقد نصر الله فيها عبده ، وأعز جنده ، وغلبت هذه الفئة القليلة فئة كثيرة بإذن الله .

وفى رمضان كان الفتح الأكبر ، عندما دخل الرسول مكة والتف أهلها حول

الفاتح الأعظم وتمت آية الله بدخول العرب الإسلام .

وفى رمضان انتصر المسلمون فى تبوك ، وعين جالوت . وحطين . وفتح العرب الأندلس .

لماذا سمى رمضان ؟

ورمضان هو اسم الشهر التاسع من تاريخنا الهجرى ، والشهر الوحيد من شهور السنة الذى ذكره القرآن الكريم .

وقد اختلفت فى تسمية رمضان الآراء ، وتعددت الروايات فمن قائل : إنه مشتق من رمض إذا احترق ، والرمضاء شدة الحر ، وسمى بذلك للارتماض من حر الجوع والعطش . . . وقيل إنما سمى رمضان لأنه يرمض الذنوب ويحرقها بالأعمال الصالحة . . .

وقيل أيضاً . لأن القلوب تأخذ فيه الموعظة والتفكير فى أمر الحياة الآخرة ، كما تكتسب صخور الفيافى ورمالها من حرارة الشمس . . .

وقيل إن العرب كانوا يرمضون أسلحتهم فى رمضان أى يدقونها ، ويشحذونها بين الحجارة استعدادًا للحرب فى شوال قبل حلول الأشهر الحرم .

جاء فى لسان العرب لابن منظور :

«رمضان فى أسماء الشهور معروف» :

قال :

جارية فى رمضان الماضى   تقطع الحديث بالإيماض

أى إذا تبسمت قطع الناس حديثهم ، ونظروا إلى ثغرها ، والجمع رمضانات ، ورمضانين ، وأرمضاء ، وأرمضة ، وأرمض . وفى هذا قال مطرز : كان مجاهد يكره أن يجمع رمضان ، ويقول : بلغنى أنه اسم من أسماء الله عز وجل . قال ابن دريد : لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التى هى فيها ، فوافق رمضان أيام رمض الحر وشدته . . إلخ .

وشهر رمضان مأخوذ من رمض الصائم يرمض إذا حر جوفه من شدة العطش .

وجاء فى دائرة المعارف الإسلامية : أن رمضان مشتق من (رمض) وفى ذلك إشارة إلى حر الصيف ، مما يدل على الفصل الذى وقع فيه هذا الشهر فى فصول السنة . حينما كان العرب القدماء دائبين على محاولة التوفيق بين سنتهم والسنة الشمسية بالاستعانة بأشهر النسىء .

كان العرب ينسئون أى يؤخرون الأشهر الحرم إلى ما بعد ذى الحجة فنهاهم الله سبحانه عن ذلك فى قوله الكريم (إنما النسىء زيادة فى الكفر) .

وقيل فى تسمية رمضان : إنه من أسماء الله الحسنى وذلك لقوله صلوات الله وسلامه عليه :

« لا تقولوا جاء رمضان وذهب رمضان ، لكن قولوا جاء شهر رمضان » .

ولكن أكثر الفقهاء يقولون : إن هذا الحديث ضعيف فى سنده .

وكان رمضان يسمى فى الجاهلية (ناتقاً) .

قال الماوردى : سمى بذلك لأنه كان ينتقهم : أى يزعجهم إضجاراً بشدته عليهم . . وقيل لكثرة الأموال التى كانت تجبيها العرب فيه .

وذكر النويرى : أن العرب العاربة كانت تسميه (ناطلا) بالطاء .

وأسماء رمضان فى الإسلام – عدا رمضان – كثيرة منها : شهر الله – شهر القرآن – شهر الآلاء – شهر النجاة . . . إلخ .

الشهور العربية وكيف سميت ؟

قيل إن الشهور العربية سميت من أسماء فصول السنة الدالة على الحرارة ، والبرودة . ونمو النباتات .

فالمحرم	:	سمى بذلك لأن العرب كانوا يحرمون فيه القتال .
صفر	:	كانوا يغيرون فيه على البلاد ويتركونها صفرًا أى خالية .
ربيع الأول	:	سمى فى وقت أربعت فيه الأرض أى أخصبت .
ربيع الآخر	:	كسابقه فى التسمية .
جمادى الأولى	:	سميت بذلك لتجمد الماء فيها فى الأماكن العالية .
جمادى الآخرة	:	كسابقتها فى التسمية .
رجب	:	اشتق اسمه من الترجيب وهو التعظيم . ويقال : إنهم سموه بهذا الاسم لأنهم كانوا (يرجبون) فيه الشجر ، أى يجعلون تحته وحوله بناء يقيه ويحفظه .
شعبان	:	سمى بذلك لتشعب النباتات فيه بانقسام الجذع إلى فروع كبيرة .
رمضان	:	....

شوال : سمى بذلك لأن الإبل كانت تلقح فيه فتشول بأذنابها . أى ترفعها .

ذو القعدة : كانوا يقعدون فيه عن القتال .

ذو الحجة : سمى بذلك لوقوع الحج فيه .

والأربعة الحرم ، وكان العرب يحرمون فيها القتال هى :

ذو القعدة .

ذو الحجة .

المحرم .

رجب .

قال تعالى :

(إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم) .

ورمضان هو الشهر الوحيد الذى ذكره القرآن الكريم من شهور السنة ، فقد نزلت الآية الكريمة :

(شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) .

منزلة رمضان :

قال ابن الجوزى فى بستان الواعظين :

«مثل الشهور الاثنى عشر كمثل يعقوب وأولاده ، فكما أن يوسف أحب

أولاده إليه . . . كذلك رمضان أحب الشهور إلى الله» .

* * *

- رمضان كريم .
- ليلة الرؤية .
- الاعتكاف .
- الجمعة اليتيمة .
- كلمات تتردد على الألسن كلما أقبل رمضان .

رمضان كريم :

من الناس من يقول : كيف نسمى رمضان كريمًا وهو الشهر الذى تختبر فيه إرادة الإنسان وسيطرته على نوازع نفسه بحرمانه من حاجات الجسم من مأكل ومشرب ؟ ويقولون : إنه ربما سمى بذلك كما كان يفعل العرب بأن يسموا الأشياء بأضدادها .

وتقول عندما يزورك أحد فى رمضان فلا تقدم له شيئاً وكأنما تعتذر إليه بأن رمضان هو الذى يمنعك فأنت تعنى أن رمضان بخيل فتقولها على المجاز بدل التصريح تأدبًا .

ومن الناس من يقول : حقًّا هو شهر الكرم . فما جاء رمضان إلا ومعه الخير . فوائده دون باقى أشهر العام جميعًا تحفل بشتى أنواع الأطعمة والحلوى . . . وهو شهر الكرم ؛ لأنه شهر البذل والعطاء ، والشهر الذى ترق فيه القلوب ويعطف فيه الإنسان على أخيه الإنسان .

شهر المودة والتعاطف ، شهر البر والإحسان ، كانت الدولة الفاطمية إذا جاء

رمضان تقيم الأسمطة ، وبها أنواع المأكولات والأطعمة الفاخرة يدعى الأمراء إلى حضورها فى كل ليلة كما يحضرها الشعب كافة .

وما زال فى بعض ريفنا إلى اليوم ، كلما أقبل رمضان أعدت الموائد خارج الدور ليأكل منها كل غريب مار بها من معوز أو مسكين .

وهذا هو فى رأيى الأمر الذى سمى من أجله رمضان كريمًا . . .

ليلة الرؤية :

الرؤية شرط من الشروط التى يجب أن تتوفر لحلول شهر الصيام ، ولا يحل إلا بها لقوله تعالى :

(فمن شهد منكم الشهر فليصمه) .

* * *

- فالرؤية شرط من الشروط التى يجب أن تتوفر لصيام شهر رمضان . . . ولا صيام إلا بها .
- ذلك أن الشهور القمرية تتم دورتها أحياناً فى تسعة وعشرين يومًا وأحيانًا فى ثلاثين يومًا .
- والذى يحدد مبدأ الشهر ونهايته ، هو ظهور الهلال .
- لذلك استوجب صوم شهر رمضان ، المعرفة الدقيقة بالأهلة .

هلال شعبان :

وذلك لارتباطه بأول رمضان .

هلال الشك :

ويوم الشك هو اليوم التالى للتاسع والعشرين من شعبان ويقع فيه الشك . لأنه إما أن يكون مكملاً لشعبان ثلاثين يومًا ، وإما أن يكون أول يوم من أيام رمضان .

قال فيه ابن الوردى :

قلت هلال الصيام ليس يرى ‏ فلا تصوموا وارضوا بقول ثقه
فغالطونى وحققوا فرأوا ‏ وكل هذا من قوة الحدقه

هلال رمضان :

وتهتم بهلال رمضان الدول الإسلامية كلها ، وذلك للتثبت من رؤيته فتتألف المواكب الدينية ، وتنار المساجد ، وتطلق المدافع عندما يتأكد الراصدون من ثبوت الرؤية .

ذكر السيوطى : أن أول من خرج فى مصر للرؤية ، القاضى (غوث بن سليمان) الذى توفى سنة (ثمان وستين ومائة) هجرية . رحب به الشعراء والأدباء . وقال ابن حمديس مرحباً به :

قلت والناس يرقبون هلالا ‏ يشبه الصب فى نحافة جسمه
من يكن صائمًا فذا رمضان ‏ خط بالنور للورى أول اسمه

وذَمَّهُ الذين يكرهون الصيام . كما جاء على لسان أبى نواس :

لقد سرنی أن الهلال لناظری بدا وهو محقور الخيال دقيق
طواه مرور الشهر حتى كأنه عنان لواه باليدين رقيق
وإنى لشهر الصوم ماعشت شامت وإنك يا شوال لى لصديق

هلال شوال أو هلال العيد :

وهو من أحب الأهلة إلى الشعراء . . . قال فيه ابن المعتز شاعر دولة بنى العباس :

مر بنا والعيون ترمقه فى قد غصن وحسن تمثال
فخلته والعيون تأخذه من كل فج هلال شوال

ومن الطرائف : أن الملك المعظم الشاعر عيسى الأيوبى ، الملقب بمأمون بنى أيوب ، كان قد طلع إلى مئذنة جامع دمشق لرؤية الهلال ومعه الشهود ، فلم ير الهلال أحد منهم ولكن رأته جارية من محظياته ، فقال الملك المعظم لابن القصار الشاعر : قل فى ذلك شيئاً فقال :

توارى هلال الأفق عن أعين الورى وغطى بستر الغيم زهوًا محياه
فلما أتاه لاجتلاء شقيقه تبدى له دون الأنام فحياه

فأجازه الملك جائزة سنية .

الاعتكاف :

الاعتكاف : هو أن يظل المتعبد فى المسجد للعبادة تطهيرًا للنفس ، واتصالاً

بالله جلت قدرته وترديدًا لذكره . وأفضل أيام الاعتكاف العشرة الأخيرة من رمضان المبارك وفيها ليلة القدر .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف فى المسجد ، وداوم على ذلك حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى ، فيعيش فى المسجد فى مكان بعيد عن الأعين ، ويتجه إلى الله بقلبه ويسعد بمناجاته .

ولابد للمعتكف أن يتحرز عن موجبات الغسل ويقبل على تلاوة القرآن ، والصلاة ، وذكر الله ليحظى بشرف القبول .

الجمعة اليتيمة :

الجمعة اليتيمة : هى آخر جمعة فى شهر رمضان المبارك ، وقد سميت يتيمة لتفردها بالحسن ، فالدر اليتيم هو المتفرد بالحسن والبهاء .

وقيل إن أهميتها جاءت من أنه كان يباح فيها رؤية الموكب السلطانى والتمتع بطلعة السلطان .

وإن تقديرها على غيرها من أيام الجمع ، كان لأنها الجمعة الوحيدة التى كان يشهد فيها المسلمون الخليفة أو السلطان .

الصيام

الصيام : جوع فى البطن ، وشبع فى الروح والقلب ، وحصار لبواعث كل شهوة ، وسد لمنافذ كل فتنة ، وتصعيد للنفس ، وسمو بها إلى أعلى عليين .

والصيام : إشراق روح ، وهداية قلب ، وشرف هدف ، وعاطفة تراحم وحكمة تسامح ، وقانون مساواة بين الغنى والفقير ، والصغير والكبير .

والصيام : عبادة يتحقق فيها الصدق والإخلاص . . لأنه بين العبد والرب لا يدخلها مواربة ، ولا يلحقها رياء .

والصيام : ركن من أركان ديننا الحنيف ، وشريعته الغراء ، وهو أحد عمد الإسلام الخمسة التى قام بها هذا البناء شامخاً ، قويًّا وعزيزًا ، ليصير دستورًا للناس ، وسلوكاً كريمًا يحفظ لهم طريق الحياة . . .

قال شوقى :

« الصيام : حرمان مشروع ، وتأديب بالجوع ، وخشوع لله وخضوع . ولكل فريضة حكمة ، وهذا الحكم ظاهره العذاب ، وباطنه الرحمة ، ويستثير الشفقة ، ويحض على الصدقة ويكسر الكبر ، ويعلم الصبر ، ويسن خلال البر . حتى إذا جاع من ألف الشبع ، وحرم المترف أسباب المتع ، عرف الحرمان كيف يقع ، والجوع كيف آلمه إذا لذع » .

والصوم : عبادة قديمة . . . لعلها كانت منذ آدم . . أو على عهد نوح . . . أو إبراهيم عليه السلام .

قال الله فى كتابه العزيز :

(يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) .

فالصوم ليس خاصًا بطائفة من الطوائف ، ولا برسالة دون أخرى . بل يشعر بالحاجة الملحة إليه كل كائن حى ، وإن اختلفت أشكاله وأوقاته باختلاف الأزمنة .

فالصوم يعرفه المتدين على أنه : وسيلة للتقرب من المولى عزوجل . ويعرفه المتصوف : كطريق من طرق صفاء الروح والنفس . ويعرفه الطبيب ، على أنه : وسيلة من أنجح وسائل العلاج الجسمانى .

ويعرفه رجل الاجتماع طريقًا من طرق تآلف القلوب ، وربط الجماعات .

إن الذى يتتبع حياة الأمم ، يجد أنها اعتبرت الصيام ركنًا من أركان عبادتها .

قدماء المصريين :

فقد كان الكهنة فى أيام قدماء المصريين يصومون فى أعياد (إيزيس) من سبعة أيام إلى ستة أسابيع ، كما كان المصريون يصومون فى جميع الأعياد الدينية.

الصينيون :

كما كان الصينيون يصومون بعض أيامهم العادية ويفرضونه على أنفسهم فى أيام الفتن .

أهل إسبرطة :

وكان أهل إسبرطة يوجبون على أنفسهم الصوم قبل قيامهم بشن أية حرب على أعدائهم طلبًا للنصر.

الهند :

أما الهند ، فقد عرفت الصوم منذ عهد المشرع [ماناڤا – مانو] الذى ترجع تعاليمه إلى القرن الحادى عشر قبل المسيح .

لقد أكدت الشريعة المانوية وكذلك البراهمة على ضرورة الصوم ، كما كانت هناك طائفة تقوم عبادتها على تقديس الشمس ، وكانت تفرض الصوم كل ليلة من غروب الشمس حتى رؤية جرمها ، فإن حجبت السحب رؤيته وجب مواصلة الصوم حتى يظهر جرم الشمس .

الصابئون المانويون :

وأكثر أنواع الصيام شبهًا بصيام رمضان فى هذه الشرائع ، صيام الثلاثين يومًا عند [الصابئين المانويين] . فقد ذكر العلامة [ابن النديم] فى كتابه [الفهرس] فى كلامه عنهم : أن شريعتهم تفرض عليهم الصيام ثلاثين يومًا متتابعة ، يبدأ أولها فى الثامن من شهر آذار ، وأن صيامهم كان إمساكًا عن جميع أنواع الطعام والشراب من طلوع الشمس إلى غروبها ، وأنه كان تكريمًا للقمر .

اليهود :

وفرض العهد القديم الصوم على اليهود لقهر الشهوات حتى يتقربوا من [ياهوه] اسم الله المقدس عندهم فى ذلك الحين .

وتفرض [التوراة] الصوم بعض الأيام فى بعض المناسبات ، منها اليوم العاشر من الشهر السابع ، واليوم التاسع من الشهر الثامن ، كما كانوا يصومون يوم الكفارة . . .

وكان مظهر تقشفهم فى الصوم ، أنهم كانوا يلبسون المسوح على أجسادهم ، وينثرون الرماد على رءوسهم ، ويتركون أيديهم كما هى غير مغسولة . كما ورد أنهم يصومون أسبوعًا تذكارًا لخراب أورشليم ، كما أن الشريعة اليهودية تمنع أتباعها عن العمل والحركة يوم السبت من كل أسبوع ، واليوم الأول من كل شهر قمرى .

صوم النصارى :

وقد ذكر [الإنجيل] الصوم وامتدحه وعدّه عبادة كبرى . ومن المعروف أن

السيد المسيح عليه السلام ، لم يكن يصوم الصيام الشرعى المعهود من قبل ، ولكن يذكر أنه صام مرة أربعين يومًا بلياليها ، ولم يفرض صيامًا معينًا ، ولكن جاءت الكنيسة ففرضت الصوم ونظمته على القواعد والأسس التى وضعها الرسول بولس فى كتابه [أعمال الرسل] .

صيام الصمت :

ومن أغرب أنواع الصيام . . . صيام الصمت ، وهو يتمثل فى الصمت عن الكلام . وهذا النوع مع غرابته ، معروف لدى الشعوب البدائية والمتحضرة على السواء . وقد عرف هذا النوع من الصيام عند اليهود . وأخبر الله تعالى عنه فى قصة مريم حيث قال :

(فإمَّا ترينَّ من البشر أحدًا فقولى إنى نذرت للرحمن صومًا فلن أكلم اليوم إنسيًّا) .

فحدد معنى الصوم بالصمت عن الكلام . . .

وكانت شريعة مريم وقتها ، الشريعة اليهودية . وهذا الصيام معروف عند المسيحيين وخاصة طائفة الكاثوليك . ولا تزال الديانات البرهمية ، واليوجا يمارسون هذا النوع من الصيام فى مناطق متعددة فى الهند .

وذكر العالمان [سبنسر ، جيلين] فى كتابهما عن سكان أستراليا : أنه يجب على المرأة التى يموت زوجها فى أستراليا أن تظل صائمة عن الكلام لمدة طويلة قد تبلغ فى بعض الأحايين عامًا كاملاً .

صوم عاشوراء .

عن عائشة رضى الله عنها : ان قريشاً كانت تصوم يوم عاشوراء فى الجاهلية . ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصيامه . فلما فرض صيام رمضان قال الرسول :

«من شاء منكم صام عاشوراء ومن شاء أفطر» .

قال ابن عباس : إن رسول الله قدم المدينة فوجد اليهود يصومون عاشوراء . ولما سئلوا عن ذلك قالوا :

« هذا اليوم الذى أظهر الله فيه موسى وبنى إسرائيل على فرعون فنحن نصومه تعظيمًا له »

قال الرسول : «نحن أولى بموسى منكم» فصامه وأمر بصومه .

الصوم فى الإسلام

الصوم فى الإسلام ركن من أركانه الخمسة . ولا يتم دين المسلم إلا به ، ولا يكمل إلا بأدائه . فقد بنى الإسلام على خمسة هى :

- شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله .
- إقامة الصلاة .
- إيتاء الزكاة .
- صوم رمضان .
- حج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً . .

والصوم : هو الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع نية الصوم فى نهار لا يحرم صومه .

والصوم فى الإسلام ، جاء جديدًا فى بابه ، فقد فرض صيام شهر بأكمله .

ولهذا الصوم شروط وآداب لا تقف عند الكف عن الطعام والشراب ونحوهما من الأمور التى تتعلق بالجسد ، ولا بالتقشف الظاهرى ، وإنما هو حياة روحانية ، حياة ذكر ، وفكر . . حياة إحسان ، وبر ، وتخلق بمكارم الأخلاق .

فالمقصود بالصيام فى الإسلام ، الجانب الروحى ، بأن تصوم العين بغضها عما حرم الله النظر إليه ، وبصوم اللسان عن الكذب والغيبة والنميمة والغش ، وتصوم الأذن عن الإصغاء إلى ما نهى الله عنه ، وتصوم البطن عن تناول الحرام وما فيه من ريبة وشك ، وتصوم اليد عن إيذاء الناس ، وتصوم الرجل عن المشى بالفساد فوق الأرض .

إذا لم يكن فى السمع منى تصامم
وفى مقلتى غض وفى منطقى صمت

فحظى إذن من صومى الجوع والظما
وإن قلت إنى صمت يومًا فما صمت

متى فرض الصوم ؟

فرض صوم رمضان فى السنة الثانية من هجرة محمد النبى الأمين عليه أفضل الصلاة والسلام .

متى نصوم ؟

عند رؤية الهلال ليلة الثلاثين من شعبان ، إذا كانت السماء صحوًا وخالية

مما يمنع الرؤية ، أو بإكمال شعبان ثلاثين يومًا إذا لم تتحقق رؤية الهلال ليلة الثلاثين .

(فمن شهد منكم الشهر فليصمه) .

شروط وجوب الصوم :

الإسلام ، البلوغ ، العقل ، النقاء من الحيض والنفاس ، والقدرة على الصوم ، والصحة ، والإقامة .

النية :

ولا يصح الصوم إلا بالنية ومحلها القلب .

أنواع الصيام :

وقد أجمع علماء الدين الإسلامى على أن الصوم أربعة أنواع :

الصوم المفروض :

وهو صوم رمضان وصوم النذر .

الصوم المحرم :

وهو صوم أيام العيدين ، وأيام التشريق الثلاثة ويوم النسك .

الصوم المندوب :

وهو صوم المحرم وأفضله اليوم التاسع والعاشر منه . . . ومنه صيام يومى الاثنين ، والخميس ، وصيام ستة أيام من شوال وصوم الأشهر الحرم .

الصيام المكروه :

إفراد يوم الجمعة بالصيام ، وصيام المرأة من غير إذن زوجها إذا كان الصيام مندوبًا ، وصوم الدهر .

ويرى حجة الإسلام أبو حامد الغزالى : أن الصوم ثلاث درجات هى :

صوم العموم :

وهو كف البطن ، والفرج ، وسائر الجوارح عن قصد الشهوة .

صوم الخصوص :

وهو كف السمع ، والبصر ، واللسان ، واليد ، والرجل وسائر الجوارح عن الآثام .

صوم خصوص الخصوص :

وهو صوم القلب عن الهمم الدنية ، وكفه عما سوى الله بالكلية .

ما يبطل الصيام :

يبطل الصيام تعمد الصائم أن يفعل ما حذرت منه الآية الكريمة : من أكل ، أو شرب ، أو جماع .

أمور لا تبطل الصيام :

من غلبه القيء ، ولم يملأ القيء فمه .

من احتلم وعليه الغسل .

من أكل ناسيًا أو شرب .

المضمضة أو الاغتسال من الحر .

ويرخص للصائم أن يصبح وهو جنب ، على أن يغتسل قبل صلاة العصر .

ما يبيح الفطر :

يباح للمسافر – سفرًا يبيحُ له الفطر – وكذا المريض على أن يقضى كل منهما أيامًا فى غير رمضان بعدد ما أفطر .

للحامل والمرضع أن تفطر ، والقضاء بعد زوال عوامل الحمل والإرضاع . .

من عجز عن الصيام لشيخوخته ، أو مرض مرضًا لا يرجى برؤه منه أفطر ولا قضاء عليه . . ويجب عليه الفدية إن كان قادراً عليها .

الصيام والصحة

- قال محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وسلامه :

«نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشبع» .

- وقيل ليوسف عليه السلام :

لم تجوع وفى يديك خزائن الأرض ؟

فقال :

أخاف أن أشبع فأنسى الجائع .

- وقال لقمـان الحكيم :

إذا امتلأت المعدة ، خرست الحكمة ، ونامت الفطنة ، وسكتت الأعضاء عن العبادة .

يعد حكيم الإغريق الشهير (أبو قراط) من أوائل الذين بحثوا موضوع الصوم

من الوجهة الصحية ، وله فى ذلك كتبه التى ألفها فى شئون التغذية والعلاج بالغذاء . هذا إلى جانب حكمه ووصاياه الطبية وما فصله فى حكمته (الثالثة عشرة) من اختلاف تحمل الصوم باختلاف أعمار الصائمين ونوع العمل الذى يزاوله كل صائم ، الأمر الذى يدل على معرفته بما حققته الأبحاث العلمية من (فسيولوجيا) الغذاء .

وقد أكد (بلزاك) ٤٦ م وكان أشهر علماء عصره ، اهتمامه بالصوم العلاجى . فقد كان يرى أن يومًا واحدًا يصومه الإنسان ، لهو أفضل من تعاطى ما يشير به الأطباء من الدواء . . . وكثيرًا ما أشاد (سينكا) فى الحقبة الأولى من الميلاد ، بهؤلاء الأطباء القدامى الذين كانوا يشيرون على مرضاهم بالصوم .

بل إن (كونيلوس) الطبيب الإغريقى كتب فى السنة العاشرة الميلادية معللاً ما لوحظ من أن الشفاء أسرع إلى المرضى الأرقاء منه إلى المرضى الأحرار ، قال :

(إن هذا يرجع إلى أن الأرقاء أكثر دقة فى اتباع نظام الصوم العلاجى) .

وجاء الإسلام الذى جعل الصيام ركنًا من أركانه الأساسية ، ولم يكثر الحديث عن الصيام كغذاء للروح ، وتطهير للنفس ، وترويض للشهوات ، وتقوية للإرادة ، وحث للغنى على التفكير فى مصير الفقراء فحسب ، بل عن فائدة الصوم العلاجية .

جاء فيما روى عن الرسول الأمين عليه الصلاة والسلام من أحاديث :

«المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء» .

وقيل للأحنف بن قيس : «إنك شيخ كبير وإن الصيام يضعفك» . فأجاب

الأحنف : «إنى أعده لسفر طويل . والصبر على طاعة الله سبحانه وتعالى أهون من الصبر على عذابه» .

والصيام يستعمل طبيًّا فى علاج حالات كثيرة . والوقاية فى حالات كثيرة . فهو يعالج اضطرابات الأمعاء المزمنة والمصحوبة بتخمر . ويعالج زيادة الوزن الناشئة من كثرة الطعام . ويعتبر الصيام علاجاً لالتهاب الكلى الحاد والمزمن وأمراض القلب ، كما يقى من مرض البول السكرى .

والصيام كذلك علاج لأمراض زيادة الحساسية وأمراض البشرة الدهنية . وفى العالم الآن مصحات كثيرة يقوم العلاج فيها بالصوم . وعملها تخليص الجسم من نفايات الغذاء ودسمه وكثرته . وكذلك من السموم الناتجة من التخمرات الغذائية وبقاء فضلاتها فى الجسم ، كما أن الصيام راحة إجبارية لمختلف أجهزة الهضم التى هى فى مقدمة ما يصيب الجسم من أمراض .

ولعل أشهر المصحات ، هى المصحة التى تحمل اسم الدكتور (هيزيح لاهان) فى درسدن بسكسونيا . ويقوم العلاج فيها على الصوم . قال الدكتور العالمى [اليكسيس كاربل] الحائز على جائزة نوبل فى الطب :

«إن الأديان كافة تدعو الناس إلى وجوب الصوم . إذ يحدث أول الأمر شعور بالجوع . ويحدث أحيانًا التهيج العصبى ، ثم يعقب ذلك شعور بالضعف ، بيد أنه يحدث إلى جانب ذلك ظواهر خفية ، أهم بكثير منه فإن سكر الكبد سيتحرك ويتحرك معه الدهن المخزون تحت الجلد ، وبروتينات العضل والغدد وخلايا الكبد . وتضحى جميع الأعضاء بمادتها الخاصة ، للإبقاء على كمال الوسط الداخلى ، وسلامة القلب .

وإن الصوم لينظف ويبدل أنسجتنا» .

الصوم فى اللغة

جاء فى لسان العرب لابن منظور :

« صوم » الصَّوْمُ تَرْكُ الطعامِ والشَّرابِ والنكَاحِ والكَلامِ . . . . صَامَ يصومُ صَوْمًا وصِيَامًا واصْطامَ ، ورجلٌ صائِمٌ وصَوْمٌ من قَوْمٍ صُوَّامٍ وصُيَّامٍ وصُوَّم بالتشديدْ ، وصُيَّمٍ . قلبُوا الواوَ لقُرْبِهَا من الطَّرَفِ وصَوْمٍ وهوَ اسمٌ للْجَمْعِ وقيلَ : هو جَمْعُ صائمٍ وقولُهُ عَزَّوَجَلَّ (إنِّى نَذَرْتُ للرحمنِ صَوْمًا) ، قيل : مَعْناهُ صَمْتًا ويُقَوِّيه قَوْلُه تعالى (فلن أكلِّمَ اليومَ إنْسِيًّا) .

فى الحديث : قال النبى صلى الله عليه وسلم : قال الله تعالى « كلُّ عمل ابنِ آدمَ لهُ إلا الصَّومَ فإنَّه لى » .

ويقالُ رجلٌ صَوْمُ ، ورجُلاَن صَوْمٌ وقومُ صَوْمٌ وامرأةٌ صومْ ، لا يُثَنَّى ولا يُجمع لأنه نَعتٌ بالمصدر وتلخيصهُ رَجُلٌ ذُو صَوْمٍ وقومٌ ذو صومٍ وامرأةٌ ذات

صوم ، ورجلٌ صَوَّامٌ قَوَّامٌ إذا كان يصوم النهارَ ويقومُ الليلَ ورِجَالٌ ونساءٌ صُوَّمٌ وصُيَّمٌ وصُوَّامٌ وصُيَّامٌ .

وقال الجوهرى : رَجُلٌ صَوْمَان ، أىّ صَائِمٌ ، وصَامَ الفَرَسُ صَوْمًا أى قامَ على غيرِ اعتلاف .

قال النابغة :

خَيْلٌ صِيَامٌ وخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمةٍ
تَحْتَ العَجَاجِ وأُخرى تَعْلُك اللُّجُمَا

الله

رمضان فى الشعر العربى

لحكمة عالية ، وإرادة سامية شرع الله الصيام . لا ليحرم المرء الشراب ، والطعام ، ولا أن يذيقه نوعًا من العذاب والآلام .. ولكن ليهذب مافيه من طبع ، ويقوم ما اعوج من خلق .

فالصيام منهج إنسانى ، يربى فى النفس عاطفة الرحمة ، وسلوك يدفع إلى امتثال الأوامر ، واجتناب المعاصى ، وخلق يدعو إلى الصفح والتسامح ، وتعاون يفرض على الإنسان ألا يشبع ويترك الآخرين جياعًا .

وإذا كانت الحياة فى الجزيرة العربية أصلا قاسية غاية القسوة ، جافة غاية الجفاف ، ولم يتعود العرب فى الجاهلية صوم شهر بأكمله ، فقد كان من المسلمين من تقبل هذا القيد الجديد الذى فرضه الإسلام طائعًا .. ومنهم من كان له كارهًا .. ومنهم من كان منه مغيظًا .

وإذا كان الأدب هو صوت الحياة .. ومرآتها ، فلابد وأن يتأثر بدوره بهذه الحياة ، التى فرضها الدين الجديد ، والشعراء والأدباء هم أول من يتأثر بما حولهم من أحداث ، وعلى قدر تأثرهم وما تحمل نفوسهم من مشاعر العاطفة نحو كل حدث جديد ، يكون تعبيرهم عنه .

قدم أعرابى على ابن عم له فى الحضر فأدركه شهر رمضان ، فقيل يا أبا عمرو : لقد أتى شهر رمضان !

قال : وما شهر رمضان ؟.

قالوا : الإمساكُ عن الطعَام والشرَاب .

قال : أبالليلِ أَمْ بِالنَّهَار ؟

قالوا : بِالنَّهارِ .

قال : أفيرَضوْنَ بَدَلاً من الشهر ؟

قالوا : لا .

قال : فإنْ لم أصُمْ فعَلُوا مَاذَا ؟

قالوا : تُضْرَب ، وتُحْبَس .

فصامَ أيامًا فلم يصبر فارتحل عنهم وهو يقول :

يَقُولُ بَنُوعَمِّى وقَدْ زُرْتُ مِصْرَهم
تَهَيأْ أبَا عَمْرٍو لشَهْرِ صِيام
فقلتُ لَهُم هَاتُوا جِرابى ومِزْوَدى
سَلاَمٌ عليكم فاذْهَبُوا بِسلاَم

فَبَادَرْتُ أَرْضًا لَيْسَ فيها مُسَيْطِرٌ
عَلَىَّ ولا مَنَّاع أَكْل طَعَامِ

ونحن على كثرة ما نقبنا فى ديوان الشعر العربى عن رمضان وأخباره فى عهد الرسول عليه صلوات الله وسلامه ، وعهد الخلفاء الراشدين ، لم نجد إلا أقل من القليل مما يشفى غليل المؤمن بالله وباليوم الآخر.

ومن ذلك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصوم صوم الوصال .. وهو أن يصوم ثلاثة أيام بلياليها لا يفطر فيها ، وقد أراد كعب بن مالك وهو أحد ثلاثة شعراء هم حسان بن ثابت ، وعبدالله بن رواحة ، وكعب بن مالك ، وقد أراد كعب أن يفعل ما فعل الرسول ، فيصوم صوم الوصال فنهاه عليه الصلاة والسلام عن ذلك وقال :

« أبيح هذا لى .. ولم يبح لأمتى ... »

فقال كعب رضى الله عنه :

بِنَفْسى ، وأَهْلِى والذينَ أُحبهم
لَصَوْمىَ صَوْمُ الناسِكينَ ذوى البِرِّ
فَإِنْ صُمتُه صَوَم الوِصَال فَإِنَّنى
قَمِينٌ بأَنْ أَلقى رِضاكَ إلى الحشْرِ
وما كَبَتَ الأَعْداَء إلا نكُوصُهم
عن الخير ما بَيْنَ المذلةِ والعُسْرِ

ولو شاءَ رَبِّى كانَ صَوْمِىَ كُلُهُ
وِصَالاً فلمْ يُصبِحْ من العام فى شهرِ

وقد كان يحلو للخلفاء الراشدين أن يتشددوا فى أمور الدين متشبهين بصاحب الرسالة الأعظم .. فلم يرتفع صوت الشعر عاتبًا على رمضان ما قيدهم به من صيانة البطن والفرج من كل ما ينعمون به من مطاعم وملذات ، وهم قوم حديثو عهد بالجاهلية ، ولم تتعود نفوسهم الخضوع للقيد .. وقد عاشوا حياتهم فى حرية مطلقة غير آبهين بشيء ولا خائفين من سلطان ..

حتى إذا جاءت دولة بنى أمية .. وقل تشدد خلفاء بنى أمية فى أمور الدين .. استمعنا إلى كثير من المغيظين من رمضان المتبرمين منه .

قال الفرزدق مُسْتَثقِلاً أَيَّام رمضان :

إذا ما انقضى عشرون يَوْمًا تَتَابَعَتْ
أراجِيفُ بالشَّهرِ الذى أَنَا صَائِمُهْ
وَدَارَتْ رِقَـاعٌ بالمواعـيدِ بَيْنَنَا
كَمَا يَلْتَقِى مَظْلُومُ قَوْمٍ وَظَالِمُهْ

بل إن هناك من شعراء دولة بنى أمية من أفحش فى هجاء رمضان .

دخل الأخطل التغلبى على عبد الملك بن مروان وهو يتمايل من فرط ما شرب ، وكان جرير الشاعر جالسًا مع عبد الملك فقال جرير :

أَفِى رَمَضانَ تَشْرُبها جِهَارًا وتَدْخُلُ لِلْخَلِيفَةِ لا تُبالِى
أَفِقْ ياعبدَ تَغْلِبَ لَستَ كُفْئًا لما حَمَلَتْ عَداواتُ الرجَالِ

وَلَوْ شَاءَ الخليفةُ كانَ سيفى   مؤدِّبَ ذِى الضَّلال مَن الضَّلالِ

فأجابه الأخطل التغلبي :

شَرِبْناها ودَارَ بها علينا   أَغَنُّ مُقَرْطَقٌ وافِى السِّبَالِ
إذا سَمعَ المؤذنَ وهو يَدْعُو   تنكَّبَ عَنْهُ آخرةَ اللَّيالى
ولى دينٌ وللأعراب دينٌ   تُشَدُّ إليْهِ أَكْوارُ الرحَال
فما لابن المَرَاغَةِ يجتوينى   وما يدرِى الحرامَ من الحلالِ
ولو شَاءَ الخليفة كانَ عندى   أذلَّ على الطريق من النعَال

فغضب الخليفة من جرأة الأخطل . وقال له :

أفى رمضان وتقر بشربها ؟

ثم أمر الحرسى أن يقوده إلى السجن .

قال جرير :

ستشْربُ فى السّجْنِ التى ما شَرِبْتَها   بكأْسٍ ولا دارتْ عليكَ بِحَانِ
فهذا جَزَاءُ الكَافِرينَ إذا انْتَهَوْا   إلى غايةٍ مِنْ ذِلّةٍ وَهَوانِ

فرد الأخطل وهو فى يد الحرسى :

سَتَسْمَعُ مَالَمْ يَسْمعْ الناسُ مثْلهُ   ولا شهدَ العُبَّادُ فى رَمَضانِ
إذا ما تَهَادتها القبائلُ . . لَمْ تَجِدْ   بآفاقِها إلاّ أذل مَكانِ

وقد استجاب الله جلت قدرته إلى دعوة أبى عيسى بن الرشيد الذى كانت

دعوته بالا يصوم رمضان آخر فمات قبل حلول رمضان التالى :

دَهَانِىَ شَهْرُ الصَّومِ لاكَانَ مِنْ شَهْرِ ... ولا صُمْتُ شَهْرًا بَعْدَه آخرَ الدَّهْرِ
ولو كانَ يُعْدِينِى الإمامُ بِقُدْرَةٍ ... عَلَى الشَّهْرِ لاستَعْدَيْتُ دَهرى عَلَى الشَّهْرِ

فرمضان صادف أول ما صادف هؤلاء المتمردين من أمثال الأخطل التغلبى ، ونحن إذا استبعدنا الأخطل لجرأته ووقاحته بسبب دالته على الخليفة ، فماذا نقول فى الوليد بن يزيد الخليفة الأموى الفاجر الذى استفتح المصحف الشريف يومًا فإذا هذه الآية الكريمة :

(وخاب كل جبار عنيد) .

فغضب ونصب المصحف ورماه بالسهام وهو يقول :

أتُوعِدُ كُلَّ جَبَّارٍ عنيدٍ ... فَهَا أَنا ذَاكَ جَبَّارٌ عنِيدُ
إذا قابَلْتَ رَبَّكَ يومَ بعْثٍ ... فقلْ ياربِّ مَزَّقنى الوَلِيدُ

ماذا تقول فيه . . وقد جلس فى شهر الصوم إلى (حبابة) جاريته يبادلها كأسًا بكأس ، وغرامًا بغرام ، حتى إذا لم يبق على الفجر غير ساعة ولم يبق فى الإناء غير كأس قال :

— غنينى ياحبابَة . .

فتقول له :

وما يقترح أمير المؤمنين . . ؟

فيقول :

مازلت أستحسن قول الأحوص :

لَمْ يَبْقَ من رَمَضان إلا لَيْلَة فكأنَّها من طُولِها لَيْلاتُ
سيغيظُ عُبادَ المدينةِ أَنَّنى أحيَا بِها وهُمُ بها أمْوَاتُ
ولَوى العَقِيق وماؤُهُ وقطينُهُ فيهِ لَنَا حَانٌ وفيهِ سُقَاةُ
ذهبَ الحجيجُ إليهِ لا يلوى بهم ركنُ الحطيمِ ولا دَنَا عَرَفاتُ

هذا هو الوليد الخليفة الأموى الذى تجرأ على المصحف الشريف ، وعلى رمضان المعظم ، وعلى شعائر الدين وتقاليد أمته الإسلامية ، حتى انتهى إلى المصير الذى ينتهى إليه أمثاله من الكفرة والملحدين ، حيث قتل بعد أسبوع واحد من رميه المصحف الشريف بالنشاب .

فإذا تركنا الوليد الفاجر ، والتغلبى الكافر ، فما نكاد نجد إلا شعراء فنانين غلبتهم طبيعة الفن ، ونزعة التمتع بالحياة ، فما إن يروا شهر رمضان مقبلا حتى يحتالوا للتخلص منه ، والهروب من لوم اللائمين فيه ، والمتشددين فى صيامه .

من هؤلاء « أبو عمرو الهندى » وهو عربى من أشراف بنى تميم ، إلا أن ولعه بالخمر قعد به عن منزلته . وكان أبو عمرو أستاذ والبة بن الحباب وأبى نواس ، وعليه تخرجا فى معانى الخمريات التى ابتكراها وعرفت عنهما .

وكان أبو عمرو يسكن بغداد فإذا أقبل رمضان فارقها إلى فارس ، حيث يعكف على الشراب فى بيوت المجوس ، أو أديرة النصارى فى الشام ، وفيها يجد

بغيته من الشراب واللهو ، ويظل كذلك حتى إذا انقضى شهر الصوم عاد أدراجه إلى بغداد .

ومما قاله فى ذلك :

شَهْرُ الصِيَام دَنَتْ مِنَّا طَلائعُهُ ... فارْحَلْ لفارس أو فارحل إلى الشامِ
وكيْفَ يَعْرِفُنى من لَسْتُ أَعْرِفُه ... لا الدارُ دارِى ولا الأقوام أقْوامى
حَيّوا بأزْهَارِهم حتّى إذا قربَتْ ... مِنْها الأباريقُ حيًّا جَامَهُم جَامِى

والظاهر مما يروى من حكايات الأعراب التى مر بنا بعضها والتى سيمر بنا شيء منها .. وما قرأناه عنهم غير ذلك ، أنهم كانوا كما قال القرآن الكريم :

(الأعراب أشد كفرًا ونفاقًا وَأَجْدَرُ ألا يعلموا حدود ما أنزل الله) .

فقد كانوا لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه ، ولا يعرفون من الشرع إلا رسمه ، ولا يكادون يفقهون شيئًا من أصول العبادات ، لبعدهم فى البادية عن العلماء والواعظين ، وانشغالهم بأمور الدنيا والنضال فى سبيل العيش ، فى صحرائهم القاحلة التى لا تجود عليهم إلا بالنزر اليسير ، من العشب ترعاه الماشية والأنعام والماء يتبلغون به ، ويعيشون عليه .

ومن طريف ما يروى : أن أعرابيا دخل على زياد بن أبى سفيان ، وهو والٍ بالعراق فى رمضان ، فقال له بعد أن استقر فى مجلسه :

لقد حانت صلاة العصر

فأدرك زياد ما يعنيه فقال له :

– صلِّ حيث أنت

قال الأعرابى :

– ما أردت ذلك

فقالَ زياد :

– ما تريد يا أخا العرب ؟

قال الأعرابى :

– أتطعمون غذاءكم وعشاءكم معًا . . ؟

فضحك زياد وقال :

– ألست صائما ؟

قال الأعرابى

بَلَى إنَّنى مِنْ أوَّلِ الدَّهر صَائِمٌ ... وَلَيْسَ بِغَيْر المَاءِ لى زَادُ مُفْطِرِ
أُديمُ مِطَالَ الجوعِ حتى كأَنَّنى ... نَسيتُ طَعَامى بَيْنَ أهْلى وَمَعْشَرِى
وَخُيِّل لِى مِنْ وطأَةِ الجوعِ أننى ... سآكلُ دِرعى أو سآكُل مغْفرى
وَيَصْرُخ بَطْنى مُسْتَغِيثًا وشاكيًا ... فَيُسْكِتُه عن غيرِ شىءٍ تَصَبُّرى

فأخذ زياد يضحك حتى كاد يستلق على قفاه . . وقال للخدم : قدموا له المائدة حتى لا يأكل درعه . .

ومر رجل بأعرابى يأكل فى رمضان فقال له : ألا تصوم يا أعرابى ؟

فقال له :

وصائمٍ هَبَّ يَلْحَانى فَقُلتُ لَهُ ... أعمدْ لصومك واتركنى لإفطَارِى
واظمأْ فإنى سأروَى ثُم سَوف تَرَى ... من ذا يصيرُ إذا مِتْنا إلى النَّار

وقال ذلك المجوسى التائه بين الضلال واليقين :

وَجَدْنا دِينَكُم سَهْلاً عَلَيْنا شرائعُهُ سِوى شَهرِ الصِّيامِ

* * *

ولم يكن حظ شعراء دولة بنى العباس ، أسعد حظًّا من شعراء دولة بنى أمية قال الشاعر العباسى ديك الجن الحمصى :

وَحَياةِ ظَبىٍ لَمْ أصمْ عَنْ ذِكْرِهِ إلا عَضَضْتُ تَندمًا إبْهَامى
لأُشَافِهَنَّ من الذنوبِ عِظامَها يَنْقَدّ عَنْها جِلْد كلِّ صِيَامِ

وراح (بشار بن برد) يترقب هلال شوال ليخلص من مضايقات شهر رمضان :

قُلْ لِشَهرِ الصِّيام أنحلتَ جِسْمى فَمَتَى يا تُرى طُلوع الهِلاَلِ
اجهدِ الآنَ كلَّ جَهْدِكَ فِينَا سَتَرى مايَكُونُ فى شَوَّالِ

وينتظر (أبو نواس) ذهاب رمضان ومجىء شوال ، ليستطيع أن يفسق ويفجر كما يهوى ويشاء :

لَقَدْ سَرَّنى أنَ الهِلاَل غُدَيَّةً بَدَا ، وهو مَمشُوقُ الخَيَالِ دقيقُ
أضَرَّتْ به الأَيَّام حتى كأنه سِنَانٌ لَواهُ باليدين رَفِيقُ
وَقَفْتُ أعزِّيه وقدْ دَقّ عَظْمُهُ وقد حانَ من شمسِ النَّهارِ شرُوقُ
لَيهْنَ وُلاَةُ اللَّهوِ أنكَ هالك فأنتَ بما يجرى عليكَ خَليقُ
وإنّى بشهْرِ الصَّوم إذْ بانَ شَامِتٌ وإنكَ يا شَوال لى لَصدِيقُ
لقد عاوَدَتْ نَفْسى الصَّبابةَ والهَوَى وَحَانَ صَبُوحٌ باكرٌ وَغَبُوقُ

وهو ساخط على رمضان ناقم عليه ، فهو الذى أمات لهوه ، وهو الذى عطل مجونه :

أَبَا العَبَّاسِ كُفَّ عَنِ المَلَامِ ... وَدَعْ عَنْكَ التَّعمقَ فى الكَلامِ
فَقَدْ وَحَياةِ مَنْ أهوَى وتَهْوَى ... أقامَ قِيَامَتِى شَهْرُ الصِّيامِ
أَمَاتَ مَجانَتِى وأبادَ لَهْوِى ... وَعَطّل راحتىَّ من المُدامِ
ولو أبْصَرتَنى عِندَ الشوارى ... أطوِّفُ عند تأذينِ الإمامِ
عَلِمت بأنَّنى عَذَّبْتُ نَفْسا ... لَهَا عادٌ وَرَسْمٌ فى الحرامِ
فكمْ لى ثَمَّ من تَقْبِيل خدٍّ ... ومن عضٍّ ورشفٍ والتزامِ

ويثور به الحقد حتى ليتمنى قتل هذا الشهر الذى يؤرقه ، ويخشى فيه من حكم الناس عليه :

ألا ياشَهْرُ كَمْ تبقَى ... مَرِضنا وَمَلَلناكَا
إذا ما ذُكِرَ الحمدُ ... لِشَوالٍ ذَمَمْناكَا
فَيالَيْتَكَ قَد بِنْتَ ... وما نَطْمَعُ فى ذاكَا
وَلَوْ أمكَنَ أن يُقتَلَ ... شَهْرٌ لَقَتَلْنَاكَ

وهو لا يسكت عند حد الحقد على الشهر الفضيل . . ولا عند تمنياته بزواله ليجد مجونه فى شوال ، بل يذهب مع الفسق والضلال إلى أن يقول :

إذا طَالَ شَهْرُ الصَّومِ قَصَّرتُ طُولَه ... بصهْباءَ يحكى الجُلَّنارُ احمرَارُها
يُقَصِّرُ عُمْرَ الليل إن طالَ شُرْبُها ... وَيَعْمَل فى عمرِ النَّهارِ خُمارُها

وهو لا يخشى من شرب الراح فى رمضان لومة لائم ، ولكن أين ذلك السكن الذى يسعد فيه بالشرب بعيدًا عن الأذى ؟

لَوْكَانَ لى سَكَن بالرّاحِ يُسْعدنى   لَمَا انتظرتُ بشُرب الراحِ إفْطَارا
الراحُ شَىْءٌ عجيبٌ أنْتَ شَارِبُه   فاشربْ وإنْ حَمَّلتك الراحُ أوْزَارَا
يامن يلوم على صفراء صافيةٍ   صِرْ فى الجِنانِ ودعنى أسْكُن النارا

وعلى الرغم من أنه لا يرعى لرمضان حرمة ، وعلى الرغم من تمتعه فيه بما يطيب له من منكرات ، فهو يطلب أن يعوضه شوال أضعاف أضعاف ما فاته فى رمضان :

استعِذْ مِنْ رَمَضَان   بسُلافاتِ الدِّنانِ
واطْوِ شَوالاً على القَصْـ   ـفِ وتغْريد القِيانِ
وليكنْ فى كلِّ يومٍ   لك فيه سَكْرَتَانِ
مَنَّ شوالٌ علينا   وحقِيقٌ بامْتِنَانِ
أَوْفَقُ الأشْهُرِ ما أبعَدَ   هَا عَنْ رَمَضانِ

ويقول متهكما :

نُبئتُ أنَّ فَتَاةً كنتُ أخطُبها   عُرْقُوبُها مثل شَهْرِ الصَّومِ فى الطّولِ

ويبلغ به المجون والكفر حدا يجمع فيه بين الخمر والمصحف ويقول :

وَضَعِ الزِّقَّ جَانِبًا   ومع الزِّقِّ مُصْحَفَا

واخْسَنُ من ذَا ثلاثـةً واثْلُ من ذَاكَ أحْرُفَا
خَـيْـرُ هَـذَا بِشَـرٍّ ذَا فـإذا اللهُ قـد عَـفَـا

وأبو نواس هذا الماجن الضال . . الذى ارتكب الموبقات وعاش عمره فى الضلال وانتهاك الحرمات ، تصدمه الحقيقة المرة فى أواخر أيام حياته ، ويحس بدنو يوم الحساب ولات ساعة مندم . .

فأبو نواس يثوب إليه عقله . . ويعود بتوسلاته إلى الحى الباقى الذى لا يموت رب السموات والأرض ، فى أبيات كلها ضراعة ، ويتمنى أن تطول أيام رمضان بعد أن كان يرجو زوالها :

شَهْرُ الصِّيامِ غَدَا مُوَاجِهَنَا فَلْيَعْقِبَن رَعِيَّةَ النسْكِ
أيامَهَ كُونِى سِنِينَ . . وَلا تَفْنَى فَلَسْتُ بِسَائِمٍ مِنْكِ

ويتوجه بخشوعه ، وضراعته إلى صاحب الملك والسلطان . فهو الواحد الذى لا يخيب دعاء من يسأله ، وهو الملك الذى لا شريك له فى ملكه ، له العزة وله الحمد .

إلــهَـنـا مــا أعْـدَلَكْ مَليكَ كُـلِّ مَنْ مَلَكْ
لَـبَّـيْكَ قَـدْ لَـبَّـيْتُ لك
لبيك إنَّ الحمد لك والـمُـلكَ لا شَـرِيكَ لَكْ
والليلِ لَمَّا أن حَلَكْ والسَّابِحَاتِ فى الفَـلَكْ
ما خَابَ عَبْدٌ سَأَلَكْ أنْتَ لَهُ حَيْثُ سَلَكْ
لَوْلاَكَ يـــارَبِّ هَــلَكْ

لَبَيْكَ إنّ الحمدَ لك والـمُـلك لا شَـرِيكَ لَكْ
يـا غَـافِلا مـا أغْـفَـلَكْ عَـجِّـل وَبَـادرْ أَجَـلَكْ
واختِـم بخيـرٍ عَـمَـلَكْ
لَبَّيْكَ إنَّ العِزَّ لَكْ والحَمِدَ والنعمةَ لكْ
والـمُـلكَ لا شَـرِيكَ لَكْ
إلـهَـنـا مَـا أعْـدَلَكْ مَلِيكَ كـلِّ منْ مَلَكْ

وهو يعرف أن ذنوبه كثيرة . . لكنه مطمئن إلى أن الله سوف يغفر له هذه الذنوب ، فهو الغفور الكريم الرحيم صاحب العفو ، الذى يلجأ إليه كل من أضلته الحياة .

يقول :

يـاربِّ إنْ عَـظُمَتْ ذُنـوبِـى كثرةً
فَلَقَدْ عَلِمْتُ بأن عَفوكَ أعْظَمُ
إنْ كـانَ لا يـرجوكَ إلاَّ مُـحْسِنٌ
فَبِمَنْ يـلوذُ ويَسْتَجِيرُ المُجْرِمُ
أدْعُوكَ ربِّ كما أمَـرْتَ تَضَـرُّعًا
فإذا رَدَدتَ يدى فَمَنْ ذَا يَرْحَمُ
مـالى إلـيْكَ وَسِيـلـةٌ إلا الرَّجَا
وجـمـيلُ عـفوِكَ ثم إنِّى مُسْلِمُ

ويقول إن الله وسع عفوه كل شيء ، فما من ذنب مهما عظم إلا وعفوه أعظم :

يا كبيرَ الذنبِ عفوُ الله من ذَنْبِكَ أكْبرْ
لَيس للإنسان إلا ما قَضَى الله وَقَدَّرْ
ليسَ للمخلوقِ تدبير بلْ الله المُدَبِّرْ
أعظم الأشياء في أصغر عفوِ الله أصْغَرْ

وقد ذكر محمد بن إبراهيم بن كثير الصوفى . أنه دخل على أبي نواس فى علته التى مات بها ، وكان معه على بن صالح الهاشمى فقال له :

– يا أبا نواس أنت فى أول يوم من أيام الآخرة ، وآخر يوم من أيام الدنيا . . وبينك وبين الله عز وجل هنات فتب إلى الله . .

فبكى أبو نواس ساعة ثم قال :

– ساندونى . . ساندونى

ثم قال :

– أبالله تخوفونى . . وقد حدثنى حماد بن مسلم عن الرقاشى عن أنس بن مالك قال :

قال رسول الله ﷺ :

« لكل نبى شفاعة ، وقد جعلت شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى يوم القيامة » . أفترونى لا أكون منهم ؟ ثم أنشد

دبَّ فى الفناء سُفلاً وعُلوًا · وأرانى أموتُ عُضوًا فعُضوا
ذَهَبَتْ شِرّتى بجدةِ نَفْسى · وتذكرتُ طاعةَ الله نِضْوا
ليسَ من ساعةٍ مضت بى إلا · نَقَصتنى بمرِّها بى جُزْوا
لهفَ نفسى على ليال وأيا · مٍ سلكتُهنَّ لعبًا ولهوا
قد أسأنا كلَّ الإساءةِ يارَ · بِّ فصفحًا عنا إلهى وعفوا

وشابه أبا نواس فى ضيقه وتبرمه برمضان . . شاعر العربية ابن الرومى ، الذى كان لا يستطيع أن يصبر على طعام ، ولا أن يحبس نفسه عن لذة ، فكان نهمًا بالحياة ، عابدًا لها ، منقطعًا إليها ، لا يكاد يصبر على فراق المتعة فيها لحظات ، فما بالك بساعات ، فهو لهذا من أشد الساخطين على رمضان ، ومن أعظمهم هجاء له ، وترجع شدة هجائه إياه إلى قوة شعره ، وعرضه لمعانيه فى صورة أخاذة مثيرة وساخرة فى بعض الأحايين .

ولقد كان الفرق بين أبى نواس وابن الرومى ، حرص الأول على ذكر الخمر فى شعره ، بينما حرص الآخر على ذكر الطعام ، فقد كان نهمًا إلى أبعد حدود النهم قال ابن الرومى فى رمضان :

شَهْرُ الصيَامِ وإنْ عَظَّمت حُرْمَتَهُ · شهرٌ طويلٌ ثَقيلُ الظِّلِ والحَرَكَهْ
يَمْشى الهُوَيْنَى فأمّا حينَ يَطْلُبُنا · فلاَ السُّلَيْكُ يُدانيه ولا السُّلَكَهْ
كأنَّهُ طالبٌ وِترًا على فَرَسٍ · أَجدَّ فى إثرِ مَطْلوبٍ على رَمَكَهْ
أَذُمُّه غَيْرَ وَقْتٍ فيهِ أَمْدَحُهُ · مُنْذُ العَشَاءِ إلى أَنْ تَسْقَعَ الدِّيكَهْ

يا صِدْقَ مَنْ قال أيامٌ مُباركةٌ ... إنْ كانَ يَكنِى عن اسْمِ الطول بالبَرَكَهْ
شَهْرٌ كأن وُقُوعِى فيه من قلقِى ... وسُوءِ حَالِى وقُوعُ الحُوتِ فى الشَّبَكَهْ

ويقول فى نفس المعنى :

رمضانُ يزعُمُهُ الغُوَاةُ مُباركًا ... صَدَقُوا وحقِّكَ إنَّه لطويلُ
شهرٌ لَعَمْرُكَ لا يَقِلُّ قليلُهُ ... وكذا المُبَارَكُ ليس منه قَلِيلُ
تتطاوَلَ الأيّامُ فيه بجهدِهَا ... فكأن عَهْدَ الأمسِ منهُ مَحِيلُ(١)
لو أنَّه للقاطِنِينَ مَسَافَةٌ ... لَحَسِبْتُ أنَّ الشِّبرَ مِنْهُ الميلُ

ويمضى ابن الرومى فى تطاوله على الشهر الفضيل :

شَهْرُ الصِّيامِ مُبَارَكٌ لكنَّما ... جُعِلَتْ لنا بَركاتُهُ فى طولِهِ
مَنْ كانَ يَأْلَفُهُ فَلَيْتَ خُروجُهُ ... عنِّى بجدْعِ الأنفِ قَبْلَ دُخُولِهِ
إنِى لَيُعجِبُنِى تمامُ هِلالهُ ... وأسَرُّ بَعْدَ تَمامِهِ بِنُحولِهِ
شَهْرٌ يصد المرْءَ عَنْ مَشْرُوبِهِ ... مِمّا يَحِل لَهُ وَعَنْ مأْكُولِهِ
لا أسْتَثِيبُ(٢) على قَبُولِ صِيَامِهِ ... حسبِى تصرُّمه ثَوابَ قبُوله

وابن الرومى يعلم أن هناك يوم الحساب ، وأنه يوم طويل على الكفار ، طويل على الذين ضلوا عن سبيل الله ، ومع ذلك فهو سادر فى غيه ، متبرم بالشهر الذى فضله الله على كل الشهور :

---

(١) أى أتى عليه الحول .

(٢) لا يريد الثواب على صيام الشهر ولكن يكفيه ذهاب أيامه .

إذا بَرَّكتُ فى صَومٍ لقَوْمٍ دعْوتُ لهم بِتطْويلِ العَذَابِ
وما التَّبريك فى شهرٍ طويلٍ يُطاوِلُ يَومُهُ يومَ الحِسَابِ
فليْتَ اللَّيْلَ فيه كانَ شهْرًا ومرَّ نهارُهُ مَرّ السحابِ
فلا أهلاً بمانعِ كلِّ خيرٍ وأهلاً بالطعامِ وبالشرابِ

ويقينا أن حياة البادية وما فيها من شظف العيش وقسوة الحياة ، لها أثرها فيما قال الشعراء فى هجاء رمضان ، كما أن الذين فى الحضر كان من الصعب عليهم أن يصوموا عن الخمر وأن يكفوا عن طلب الملذات ، فإننا على طول ما نقبنا فى أخبار الشعر والشعراء فى هذه الفترة من الزمن ، نجد أن ما قيل فى هجاء رمضان والتبرم به يطغى بكثير على ما قيل فى مدحه . . وحتى الذين مدحوا رمضان ، فإن أغلبهم لم يمدحه تقربًا إلى الله عز وجل . . ولكن ليتقرب إلى والٍ أمير طمعًا فى مال أو أمر يرجوه .

يقول البحترى وهو من معاصرى ابن الرومى للخليفة مادحًا صومه ومهنئا بيوم الفطر :

بالبرِّ صُمْتَ وأنْتَ أفْضَلُ صائمٍ وبسنةِ اللهِ الرَّضِيَّةِ تُفْطِرُ
فانعمْ بيومِ الفطرِ عيدًا إنَّهُ يوم أغَرُّ مِنَ الزّمَانِ مُشَهَّرُ
أظهرتَ عِزّ المُلكِ فيه بجحفل لَجِب يُحَاط الدّينُ فيه ويُنْصَرُ

ويقول الشريف الرضى يهنئ (الطائع) العباسى :

تَهَنَّ قُدومَ صَومَكَ يا إمامًا يصومُ مدى الزّمان عَن الأثامِ
إذا ما المرءُ صَام عَن الدنَايَا فكلُّ شهورِهِ شهرُ الصِّيامِ

ونحن إذا غفرنا للبحترى مبالغته فى مدح الخليفة ، حين أخذ من الصيام مناسبة لمدحه دون أن يمتدح هذا الشهر المبارك ، فكيف نغفر لابن الرومى أهاجيه فى رمضان ، وهو المتقرب إلى أحد ممدوحيه بمناسبة شهر الصوم بقوله :

أَقْسَمتُ والحَنْثُ له آثامُ بِمَنْ له المَعْشَرُ والمقَامُ
أَنَّكَ ما رَاضَ لك الصِّيامُ طَرفًا ولا فَرْجًا له عُرَامُ
لوجهك الإجلالُ والإكْرَامُ عن ذاكَ والتبجيل والإعظامُ

فلما جاءت دولة الفاطميين ، وامتدت ظلالها الوارفة على العرب بالخير . . وجعلت من رمضان موسمًا كريمًا للبذل والعطاء ، اختفى أوكاد ما كان يقوله الشعراء فى هجاء رمضان . . بل إن الشعراء تنافسوا لا فى إظهار مشاعرهم نحو هذا الشهر المبارك الذى أظل الإنسانية فى مشارق الأرض ومغاربها ، بالخيرات والبركات ، وإنما تنافسوا فى الحديث عن مباهج رمضان وخيراته ، التى يجود بها الفاطميون على الناس تمكينًا لدعوتهم وتحبيبًا للناس فى مذهبهم ، فلم نعد نستمع إلى ما كنا نستمع إليه من قبل كقول من قال :

الغوثُ من شَهرِ الصِّيامِ إذْ صارَ لى مثلَ اللجامِ
ما إنْ أُمَتَّعُ بالنِّسَا ء وبالطَّعامِ وبالمُدَامِ

ذلك لأن أبا نواس ، وابن الرومى وأمثالها فى دولتى بنى العباس وبنى أمية ، كانت تغلبهم طبيعة الفن ، حيث كان رمضان على صورته الحقيقية التى يعيشها الناس فى انقطاع للعبادة ، وانصراف عن الشهوات ، وابتعاد عن الملذات ، وعكوف على العبادة ، وتوجه إلى الله بالخشوع والدعاء بالليل والنهار اغتنامًا

لرضاه ، وطلبًا لرحمته . وكان من يشذ من الناس أو من الشعراء عما ألفه الجمهور ، يخرج على الجماعة بالمعصية ، ويكون جزاؤه الضرب أو السجن ، فضلا عما يصيبه من أضرار أخرى كالتشهير به بين العامة بصورة ترتعد منها الفرائص أو بإجباره على التخفى عن العيون والانزواء بعيدًا عن المجتمع .

أما عصر الفاطميين وما تلاه من عصور ، فقد خفت الوطأة وسهلت الأحكام ، ولم يتشدد الولاة فى توقير رمضان وصون شعائره ، وأصبح رمضان مصدر الخير ، وسبيلاً للتنعم بأطايب الحلوى والطعام ، إلى حد اختراع صنوف لم تكن موجودة من قبل .

على أن ما مدح به الشعراء رمضان لم يحدثونا فيه عن مشاعرهم نحوه ، وإنما جاء مدحهم له من خلال مدحهم للخليفة :

ليهنِك أن الصوم فرض موكد ... من الله مفروض على كل مسلم
وأنك مفروض المحبة مثله ... علينا بحق قلت لا بالتوهم
فَهُنِّئْتَهُ يا مَنْ بِهِ الله قابلٌ ... من الخلق فيهِ كلّ نُسْك مُقَدَّمِ
ولا زلتَ مَنْصُورًا على فرضِ صَوْمِه ... ومُعْتَصِمًا باللهِ من كلّ مَحْرَمِ

وقال شاعر الفاطميين عمارة اليمنى :

وهُنِّئْتَ مِنْ شَهْرِ الصِّيام بزائرٍ ... مُنَاه لو أن الشهرَ عِنْدَك أَشْهُرُ
وما العيدُ إلا أنْتَ فانظر هلالَه ... فما هو إلا فى عَدُوِّك خِنجَرُ

فرمضان هنا مناسبة ، قيل فيها الشعر لمدح الخليفة وليست موضوعًا ولا فنًّا أصيلا من فنون الشعر العربى .

وحتى الذين عبروا عن مشاعرهم نحو رمضان ، لم يعبروا عن المفاهيم الحقيقية لهذا الشهر المعظم ، وما جاء به من تعاليم من أجل خير الناس أجمعين .

قال الأمير تميم بن المعز لدين الله :

ياشهرَ مُفْتَرَضِ الصَّومِ الذى خَلُصتْ ... فيه الضمائِرُ والإخلاص للعملِ
أرْمَضْتَ يا رَمَضَانُ السيئاتِ لنا ... بِشُرْبنا للتقى عَلاًّ عَلَى نَهَلِ
وليت ظِلَّكَ عنّا غَيْرُ مُنْتَقِلٍ ... بصالحٍ وخُشُوعٍ غيرِ مُنْفَصِل

وقال الصاحب بن عباد :

قد تَعَدَّوْا على الصِّيامِ وقالوا ... حُرِمَ الصَّبُ فيه حُسْنَ العَوائِدْ
كَذَبُوا فالصِّيامُ للمرْءِ مَهْما ... كانَ مُسْتَيْقِظًا أَتَمَّ الفوائِدْ
مَوْقِفٌ بالنهارِ غَيْرُ مُرِيب ... واجتماعٌ باللَّيْلِ عند المسَاجِدْ

وما لهذا فرض الصيام . . وإنما لحكمة من لدن ربك أجل وأعظم وأسمى ، وما الوقوف غير المريب بالنهار ، والاجتماع بالليل فى المساجد ، إلا مظهرًا من مظاهر هذا الشهر المبارك العظيم .

ورمضان فى الشعر المعاصر ، يحلق شعراؤه أحيانًا ويهبطون ، ولكنه ليس رمضان الذى قال فيه أبو نواس :

اسْتعذْ من رَمَضانْ ... بسلافاتْ الدنَانْ

ولا رمضان الذى يقول فيه الشاعر مادحًا الخليفة :

لَئِنْ كَانَ شَهرُ الصَّومِ أفْضَلَ حَوْلِهِ لَفَضْلُكَ فى أبناءِ جِنْسِكَ أَفْضَلُ
وإنْ تَكُ فيهِ ليلةُ القَدْرِ إنَّها لِفيكَ مَعَانِيها التى تَتَأَوَّلُ
وَحَسْبُكَ أنَّ الصَّائِمينَ له إذا طَوَوْا عَنْكَ فيه النصحَ لم يُتَقَبَّلوا

فلم يعد للشعر فى العصر الحديث وقفة بباب الخليفة لاستجداء العطاء . . ولم يعد رمضان بابًا يقصده الشعراء . بالذم والهجاء ، فللدين هيبته التى يقف عندها كل مشرك ضال عن سبيل الهداية .

إنه رمضان الخير الذى يرجع الروح إلى منبعها الأزلى فتبرأ من أدران الحياة ، وتتخلص من مباذل الدنيا ، وتتجه إلى الله خالق السموات داعية مكبرة شاكرة أياديه الكرام .

إنه رمضان ، الضيف الكريم الذى يعاود فى كل عام مزاره ، حاملا سننًا علوية النظام كما يصوره الشاعر محمود حسن إسماعيل :

أَضيفٌ أنْتَ حَلَّ عَلَى الأنامِ وأَقْسَمَ أنْ يُحَيَّا بِالصِّيامِ
قطعْتَ الدَّهْرَ جَوَّابًا وَفيًّا يَعُودُ مَزَارُه فى كلِّ عَامِ
تُخَيِّمُ لا يُحِدُّ حِمَاكَ رُكْنٌ فَكُلّ الأرضِ مَهْدٌ للْخِيامِ
نَسَخْتَ شَعَائِرَ الضِّيفانِ لَمّا قَنَعْتَ من الضيافَةِ بالمَقامِ
وَرُحْتَ تَسُنُّ للأجْوَادِ شَرعًا من الإحْسَانِ عُلْوِىَّ النِّظَامِ
بِأَنَّ الجوعَ حِرْمانٌ وزهدٌ أعز من الشرَابِ أو الطَّعامِ

وهو يصور الصائمين المترقبين صوت المؤذن ، منتظرين فى خشوع وفى رهبة صوت الأذان :

جَعَلتَ النّاس فى وَقْتِ الغُروبِ عَبيدَ ندائك العَاتِى الرَّهيبِ
كما ارْتَقَبُوا الأذانَ كأنَّ جُرْحا يُعذّبهُم تَلَفَّتَ لِلطبيبِ
وأتْلعت الرِّقابُ بهم فَلاحُوا كرُكْبانٍ عَلَى بَلَدٍ غَريبِ
عُتَاةُ الإنْسِ أنْتَ نَسَخْتَ منهم تَذَلُّلَ أوْجُهٍ وَضَنَى جُنُوبِ

ويصور المآذن ونورها ، وكأنه وحى يذكر بالهداية ويملأ النفوس بالإيمان ويدفعها إلى الخير ، والمحبة ، والسلام :

تلَفَّتتْ المآذنُ حَالِمَاتِ كحور ياتِ خُلْدٍ سَافِراتِ
تَضُوعُ مَبَاخِر النُسّاكِ مِنها فتَحْسَبُهَا غُصونًا عاطِراتِ
تلألأ حولها أطواقُ نورٍ مضيئات بحُبِّكَ هائِماتِ
كأنك حاملٌ وحيًا إليها وقفنَ بسحرِهِ مُتَلَهِّفَاتِ
إذا صاحَ الأذانُ بها أرَنَّتْ بإلهامٍ كموجِ البحرِ عَاتِ
يذكر بالهداية كل ناس - ويوقظ كل غافٍ للحياة

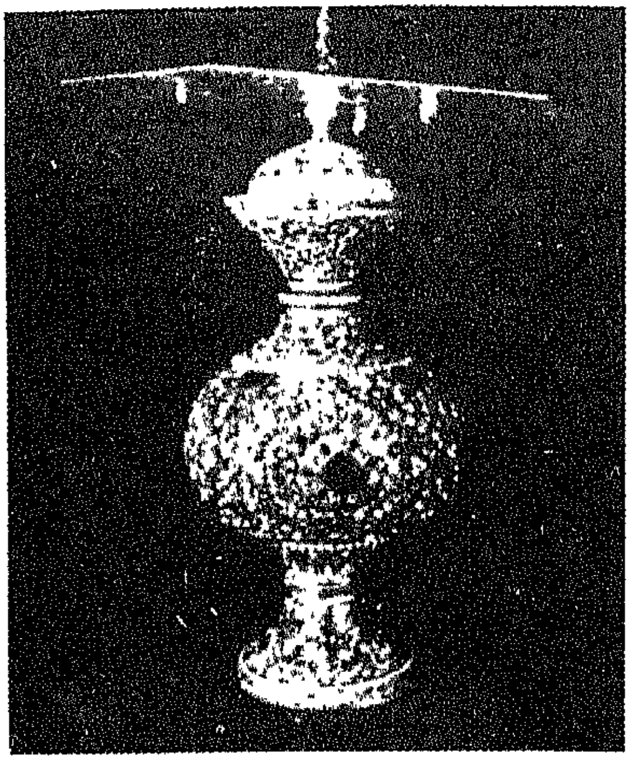

الكنافة والقطائف

الكنافة[١] ، والقطائف[٢] ، من معالم شهر رمضان المبارك ، يقبل عليها الناس كبيرهم ، وصغيرهم .. غنيهم وفقيرهم ، فلا تكاد تخلو موائد الصائمين منهما طول ليالى هذا الشهر الكريم ..

قيل : إن أول من قدمت له من العرب هو معاوية[٣] بن أبى سفيان زمن

(١ ، ٢) ذكر المادة اللغوية : قال الجوهرى فى الصحاح ، القطيفة دثار مخمل والجمع قطايف وقطف ومنه القطيفة التى تؤكل . . .

وقال صاحب القاموس : القطيفة دثار مخمل والجمع قطائف و (قطف) قرية فى ناحية حمص ، وأبو قطيفة شاعر والقطايف المأكولة لا تعرفها العرب . وأما الكنافة فلم يتركها أحد من أئمة اللغة . ولا يوجد فى الألفاظ اللغوية ما يصلح أن يكون مادة لها .

(٣) قال ابن فضل الله فى المسالك ، كان معاوية يجوع فى رمضان جوعًا شديدًا ، =

ولايته للشام ، كطعام للسحور لتدرأ عنه الجوع الذى كان يحس به .

وقيل : إنها صنعت لسليمان بن عبد الملك .

وقد شغلت (الكنافة والقطائف) الشعراء والأدباء منذ جاءت دولة بنى أمية .

شغلت شاعر العربية الكبير ابن الرومى ، الذى كان يسر بها سرور ابن الأحنف بقرب حبيبته فوز ، وقد كان ابن الرومى نهمًا :

قطائفٌ قَدْ حُشِيَتْ باللَّوْزِ والسكر المَاذِيِّ حَشْوَ الْمَوزِ[1]
تَسْبَحُ فى آذِيِّ دُهْنِ الجَوْزِ سُرِرْتُ لمَّا وَقَعتْ فى حَوْزِى
سرورَ عَبَّاسٍ بقربِ فَوْزِ

فلما جاءت دولة الفاطميين ، وامتدت ظلالها الوارفة على العرب بالخير ،

= فشكا ذلك إلى محمد بن أتال الطبيب ، فأشار عليه باتخاذ الكنافة فكان يأكلها فى السحور ، فهو أول من اتخذها .

(١) عباس بن الأحنف من شعراء العباسيين الذين قصروا شعرهم على محبوبة واحدة هى (فوز) ويتميز شعره بأنه من نوع السهل الممتنع ، وكل معانيه مبتدعة منها قوله :

وإنى وكتمانى هواها وقد فشا كذى الجهل تحت الثوب يضرب بالطبل

وقوله :

صرت كأنى ذبالة نصبت تضيء للناس وهى تحترق

وقوله :

لو كنت عاتبة صبرت على النوى صد الملول خلاف صد العاتب

ملحوظة : فى رواية أخرى أن هذه الأبيات لابن يحيى بن أبى منصور المنجم ، وليست لابن الرومى .

وجعلت من رمضان موسمًا كريمًا للبذل والعطاء ، اختفى أوكاد ماكان يقوله الشعراء فى هجاء رمضان .. بل إن الشعراء أخذوا يتنافسون لا فى إظهار مشاعرهم نحو هذا الشهر المبارك ، الذى أظل الإنسانية فى مشارق الأرض ومغاربها بالخيرات .. وإنما تنافسوا وأسرفوا فى الحديث عن مباهج رمضان وخيراته ، التى كان يجود بها الفاطميون تمكينًا لدعوتهم وتحبيبًا للناس فى مذهبهم .

تحدثوا ... وأطالوا الحديث فى الكنافة والقطائف وغيرهما من أنواع الحلوى التى ابتدعها الفاطميون ... تحدثوا وأطنبوا فى الحديث عن الفانوس ، كمظهر من مظاهر الحفاوة برمضان .. وقد اكتسب هذه العادة من جاء بعدهم فى العصر الأيوبى والعصرين المملوكى والتركى ...

ولم يقف حديث الشعراء عند حد وصف الكنافة وموائدها ، بل تعدى ذلك إلى الحب .. حب الكنافة والهيام بصوانيها ، وبيض لياليها والتغزل فيها ، حتى صار لها من العاشقين من تغنى بحبها ودلالها وصدها .

فهذا شاعر من شعراء الدولة الأيوبية هو أبوالحسين يحيى الجزار ، أحب الكنافة حبًّا عظيمًا ملك عليه بطنه وكل مشاعره وأحاسيسه .

فكما تغنى ابن زيدون بحب ولادة ، وهام جميل بحب بثينة ، وتدله الأحنف فى عشق فوز ، أحب أبوالحسين الكنافة وتغنى بها ..

فالكنافة فتاة أحلامه ، وهى المعشوقة التى تتأبى عليه وترميه بالغدر تارة ، وتحرمه من صوانيها تارة أخرى .. وهو المعذب الولهان الذى يتعجب كيف تتهمه الكنافة بالغدر .. وهو الأمين على العهد ، الحافظ للود :

ومالى أرى وجهَ الكُنافةِ مُغْضَبًا ولولا رِضَاها لَمْ أُرِدْ رَمَضَانَها
عجبتُ لها فى هجرِها كيف أظهرتْ عَلَىّ جفاءً صدَّ عَنى جِفَانَها
تُرى اتهمتنى بالقطائِف فاغتدتْ تَصُدّ اعتقادًا أنّ قَلْبِى خَانَها
ومُذْ قَاطَعَتْنِى ما سمِعْتُ كَلامَها لأنّ لِسَانى لَمْ يُخَاطِبْ لِسَانَها

وهو يرى فى الكنافة والقطائف لذة أعذب وأحلى من لثم المراشف ، وشم المعاطف :

تَـاللهِ مَـا لَـثْمُ الـمَـرَاشِـفْ كلا ولا شَمُّ المَعَاطِفْ
بـألـذَّ وقْـعًـا فى حَشَـا ىَ من الكنافةِ والقطائِفْ

فلما ذهبت الدولة الأيوبية التى كانت تحب الأدب ، وتجزى عليه وتفيض بعطفها على الشعراء ، وجاءت دولة المماليك البحرية من الأعاجم الذين لم يرحبوا بالشعر والشعراء لأنهم لم يفهموا العربيةَ ولم يتحدثوا بها ، لم يجد أبو الحسين بغيته فى الكنافة ، فراح يبكى لياليها الغر الحسان :

سَقَى اللهُ أكْنَافَ الكُنَافَةِ بالْقَطْرِ وَجَادَ عَليها سكَّرًا دائمَ الدَّر
وَتَبًّا لأيَّام الْمُخَلَّلِ إنَّهَا تَمرُّ بلا نَفْع وَتُحْسَبُ من عُمْرى
وَلِى زَوْجَةٌ إنْ تَشْتِرى قَاهِريةً[1] أقولُ لها ما القَاهِرِيَّةُ من مِصْرِ

وراح يرسل قصيده فى حسرة ، وحزن وألم ، على أنه عاد لا يستمتع بها كما كان من قبل :

---

(١) القاهرية نوع من الحلوى قريب الشبه من الكنافة .

مارأَتْ عَيْنى الكُنَافَةَ إلا عندَ بَيَّاعِها على الدُّكانِ

وإذ ضاقت بالحسين الدنيا ذرعًا ، ورأى أبواب الحكام موصدة دونه ، أرسل قصيدة لصديقه (شرف الدين) الذى مازال على عهد الوفاء والجود قال :

أياشَرَفَ الدينِ الذى فَيْضُ جُودِهِ
بِرَاحَتِهِ قَدْ أَخْجَلَ الغَيْثَ والبَحْرَا
لَئِنْ أَمْحَلَتْ أرضُ الكُنَافَةِ إننى
لأرجُو لَها من سُحْبِ راحتِكَ القَطْرا[1]
فَعَجِّلْ بِها جُودًا فما لى حَاجَةٌ
سِوَاها نباتًا يُثْمِرُ الحَمْدَ والشُّكرا

ولم يكن أبو الحسين بن يحيى الجزار الذى أحب الكنافة وحده ، فلها عشاق وعشاق .

أحب الكنافة ابن نُباتة الشاعر المصرى المعروف .

قال متغزلا فى الكنافة :

يا سَيِّدى جاءَتْكَ فى صَدْرِها كأَنَّها رُوحِىَ فى صَدْرِى
كُنَافةٌ بالحُلْوِ مَحْشُوَّةٌ كما تقولُ العَسَلُ المصرى
قد خَنَقتنى عَبْرَتى كاسمها وبادَرَتْ من خلفِها تَجْرِى

---

(١) القطر : المطر وهو يريد به العسل الذى يوضع على الكنافة أو السكر المعقود ، وقد ذكره ليشاكل به ما قاله من أرض الكنافة .

ما خَرَجَ الفُسْتقُ من قِشْرِهِ فيها وقدْ أُخرِجْتُ من قِشْرِى
وَنَشْرُهَا من طِيبِها لَمْ يَفُحْ فَاعْجَبْ لسوءِ الطىِّ والنَّشْرِ[1]
فهاكَ حُلْوًا قدْ تَكَفَّلْتُه ولا تَسَلْ عنِّى وَعَنْ صَبْرِى

وقال وقد أرسل إليه صحن كنافة . وتذكر بهذا الصحن ابنته التى تعيش فى دمشق بعيدًا عنه .

ذَكرتُك والأسْماءُ تُذْكَر بالكُنَى فَلِلّه يا أَسْما الكنافةُ والذكْرُ
يذكِّرُ صحنُ الوجهِ صَحْنَ كنافةٍ هما الحُلْوُ مما تَشْهدُ العينُ والفِكْرُ
لَيَالىَ فِطْرِ الصَّومِ إذْ كُلُّ ليلةٍ بإحسانِ نُورِ الدينِ عِيدٌ : هُو الفِطْرُ
وإنْعَامُهُ عِندى وشكرىَ عِندَهُ ولكنْ مَتَى يُوفى بإنعامِهِ الشُّكْرُ
إذَا كانَ ذَا جُودٍ وشعرٍ يُجيبُنى وأحسنُ من شِعرى له ذلكَ الشِّعْرُ
وَلَمْ أَنْسَ ليلاتِ الكُنافةِ قَطْرَها هُوَ الحُلو إلا أنّه السُّحُبُ الغُزْرُ
يجودُ على ضَعفى فأهتزُّ فرحةً (كما انْتَفَضَ العُصْفورُ بَلَّلَهُ القَطْرُ) [2]

---

(١) النشر : الرائحة الذكية ، والنشر الذى هو ضد الطىّ ففى اللفظ تورية .

(٢) من شعر أبى صخر الهذلى فى قصيدته التى أولها :

لليلى بذات الجيش دار عرفتها وأخرى بذات البين آياتها صفر
كــأنهما ملآن لم يستــغيرا وقد مر بالدارين من بعدنا عصر

والبيت المذكور شطره الأول هو :

وإنى لتعرونى لذكرك هِزّة كما انتفض العُصفورُ بلّله القَطْر

ومن رقيق قوله فى القطائف :

وقطائفٍ رقتْ جُسومًا مِثْلَمَا غَلُظَتْ قُلُوبًا فَهْىَ لى أَحْسَابُ
تَحْلُو فَمَا تَغْلُو وَيَشْهَدُ قَطرها الـ ـفيَّاضُ أنّ ندى علىَّ حِسَابُ

أو قوله :

أَقُولُ وقَدْ جَاءَ الغُلامُ بِصَحنِهِ عُقَيْبَ طَعامِ الفِطْرِ يا غَايَة المُنَى
بِحَقِّكَ قُلْ لى جَاءَ صَحْنُ قَطائِفٍ
وَبُحْ باسْم من أَهْوىَ وَدَعْنى من الكُنَى(١)

وقال :

رَعَى اللهُ نعماك التى مِن أَقَلِّها قَطائفُ مِنْ قَطْرِ النباتِ لَهَا قَطْرُ
أَمُدّ لَها كَفّى فاهتزٌّ فرحةً (كما انتفض العصفور بلّلَهُ القطر)

وشكا إلى قاضى القضاة مستهديًا القطر :

لِجُودِ قَاضِى القُضاةِ أشكُو عَجْزِى عَنْ الحُلْو فى صِيَامِى
والقَطْرُ أرجُو وماعَجيبٌ لِلقَطر يُرجى من الغَمَامِ

وهذا هو الإمام البوصيرى صاحب القصيدة المعروفة بالبردة والتى نظم على غرارها أمير الشعر شوقى قصيدته المسماة « نهج البردة » والتى مطلعها(٢) .

---

(١) الكنى يشير بها إلى معنيين : الكنى جمع كنية والكنى بمعنى الكنافة ففيها تورية .
(٢) مطلع قصيدة البردة للبوصيرى قوله :
أمن تذكر جيران بذى سلم مزجت دمعًا جرى من مقلة بدم

ريمٌ على القَاعِ بين البَان والعلم
أَحَلَّ سَفْكَ دَمِى فى الأشْهُرِ الحُرُم

هذا الإمام (البوصيرى) يعتب على قاض فى أيامه اسمه (عماد الدين) أنه لم يقدم له كنافة رمضان قال :

ما أَكَلْنا فى ذا الزَّمان كُنَافَه ... آهِ .. وابعدَها علىَّ مَسَافَهْ
قالَ قومٌ إنَّ العِمادَ كريمٌ ... قلتُ هذا عندى حديثُ خُرَافه
أنا ضيفٌ له وقد مِتُّ جُوعًا ... ليت شعرى لِم لا تُعدّ الضِّيافَهْ
وهو إن يُطعم الطَّعَام فما ... يُطعم إلا لسمعةٍ أو مَخَافه

ويقول أبو الهلال العسكرى فى القطائف :

كَثِيفَةُ الحشْوِ وَلَكِنَّها ... رقيقةُ الجِلْدِ هَوائِيَّهْ
رُشَّتْ بماءِ الوَرْدِ أَعطافُها ... مَنْشُورةَ الطَّىِّ وَمَطْوِيَّهْ
كأنَّهَا من طِيب أنفاسِها ... قدْ سُرِقَتْ من نَشْرِ مَاوِيَّهْ[1]
جاءتْ من السُّكرِ فضيةً ... وهى من الأدهانِ تبْرِيَّهْ
قد وهبَ الليلُ لها بُرْدَةً ... وَوَهبَ الخصبُ لها زِينَهْ

---

(١) ماوية من أشراف الحيرة ، تزوجها حاتم الطائى بعد قصة يرويها صاحب كتاب الأغانى وكانت تشتهر بالعطور التى تتعطر بها ، وكانت تلوم حاتما لإسرافه فى الجود فيقول :

أماوى إن المال غاد ورائح ... ويبقى من المال الأحاديث والذكر

وقال السراج الوراق فى القطائف :

قَطَائِفُكَ التى رَقَّتْ جُسومًا ... لِواصِفِها كما كَثُفَتْ قُلوبا
كَغَيْمٍ رَقَّ لكن فيهِ قَطْرٌ ... غَدَا المَرْعَى الجديبُ به خَصِيبا

وقال المرصفى :

وَحَقِّكَ ما أَوْلَيتنى من قَطائفٍ ... أَلَذَّ وأَحْلَى من وِصَالِ القَطائفِ[1]
وقد ضُمِّنَتْ مثْلَ العتابِ حَلاوَةً ... أَلَمْ تَرَها مَلفوفَةً كالصَّحائفِ

وقال صلاح الدين الصفدى مبالغًا فى استعمال التورية والجناس والمطابقة :

رعى الله نعماك التى من أقلها ... قطائف من قطر النبات لها قطر
أمد لها كفى فأهتز فرحة ... كما انتفض العصفور بلله القطر

ولصلاح الصفدى أيضًا :

أتانىَ صَحْنٌ من قَطَائِفِكَ التى ... غَدَتْ وهىَ روضٌ قد تَنَبَّتَ بالْقَطْرِ
ولا غَروَ أن صَدَّقتُ حُلْوَ حديثِها ... وسُكَّرُهَا يَرْويه لى عَن أَبِى ذَرِّ[2]

وقال :

أَلَذُّ شَىءٍ على الصِيامِ ... مِن الحلاواتِ فى الطَّعامِ
قَطائفٌ فُضِّضَتْ فتحكى ... فرائدَ الدرِّ فى النِّظَامِ

---

(١) القطائف : اللاتى يمشين الهوينا وفى البيت جناس تام .

(٢) المراد بأبى ذر الذى يذر عليها السكر ، وفيه تورية بأبى ذر الصحابى المعروف .

مُـنَـوَّعـاتٌ على جُـنُـوبٍ في الجَامِ كالصِبْيَةِ النِّيَامِ

وقال ابن هبة المصرى فى القطائف المقلية :

وَافَى الصِّـيامُ فَـوَافَـتْـنا قَـطـائِـفـهُ
كما تَسَامَتَت(١) الكثبانُ مِنْ كثَبِ
أهلا بشهر غدَا منهُ لنا خلفٌ
أكلُ القطائفِ من شُربِ ابنةِ العِنَبِ
من كلِّ ملفوفةٍ بيضٍ إلى أُخَرٍ
حُمْرٍ من القَلْيِ تَشْفِى جُنَّةَ السَّغَبِ(٢)

وكتب برهان الدين القيراطى إلى القاضى نور الدين بن حجر :

مَوْلاىَ ، نورُ الدينِ ضَيْفُكَ لَمْ يَزَلْ
يَروِى مكارِمَك الصَّحيحَةَ عَنْ عَطا(٣)
صَـدَقْـت قـطـائِـفُك الـكـبارُ حلاوة
بِفَمِى وليسَ بِمُنْكرٍ صدقُ (القَطَا)(٤)

---

(١) تسامتت : من المسامتة وهى المقابلة ، أو ساوى بعضها بعضًا فى الحجم والارتفاع .

(٢) السغب : الجوع :

(٣) عطا : عطاء . أحد مشاهير رجال الحديث ، وفى اللفظ تورية عن عطا الاسم وعطاء المصدر وقد قصر للضرورة .

(٤) القطا : نوع من الطيور التى تعيش فى البادية ، وقد ورد فى شعر الجاهليين والأمويين ذكره كثير فى ذلك .

وقال سيف الدين بن قزل المنشد :

وقَطائفٍ مثلَ البُدُور أتتْ لَنَا من غيرِ وَعْد
قَد سُقِّيتْ قَطْرَ النَّباتِ وطُيبت بالماء وَرْدِ
فَحسبتها فى صَحْنِها لما بَدَتْ أقراصَ شُهدِ

وقال كشاجم :

عندى لأضْيَافى إذَا اشْتَدّ السَّغَبْ قطائفٌ مِثلُ قَراطيسِ الكُتُبْ
كأنّه - إذا تَبَدَّى من كَثَبْ كَوائر[1] النَّحلِ بَيَاضًا وثُقَبْ
قد مَجَّ دهنَ اللوزِ مما قَد شَرِبْ وابتَلّ مما عامَ فيه وَرَسَبْ
وجاءَ ماءُ الوردِ فيه وَذَهَبْ وغابَ فى السُّكر عنا واحتَجَبْ
فهو عليهِ حَبَبٌ فوقَ حَبَبْ إذَا رآهُ والهُ القلبِ طَرِبْ
أطْربُ منه إنْ أراهُ يُنْتَهَبْ كلُّ امرِئ لذَّتُهُ فيما يُحِبْ

وقال زين القضاة السكندرى :

للهِ دَرُّ قَطَائفٍ مَحْشُوَّةٍ مِنْ فُسْتُقٍ دَعَتِ النَّواظِرِ وَاليدَ
شَبَّهتُهَا لَمَّا بَدَتْ فى صَحْنِها بحِقَاقِ عاجٍ قد حُشِينَ زَبَرْجد

= أسرب القطا هل من يعير جناحه لعلى إلى من قد هويت أطير
وقال شاعر يهجو قبيلة تميم :
تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا وإن سلكت سبل المكارم ضلت
(١) كوائر النحل : بيوته .

وقال أبو على الحسين بن محمد التونسى :

وَقَطَائفٍ محشوةٍ بلطَائِفٍ طافَتْ بنا أكْرِمْ بها من طَائِفِ
شَبَّهتُها صُفَّتْ على أَطْباقِها بوصائفٍ قامتْ بجنبٍ وَصَائفِ

ومن الشعراء من كان يفضل القطائف على الكنافة ، فقد خالف ابن نباتة وسعد الدين عربى الحسين بن الجزار وفضلا القطائف على الكنافة فى قولها :

أقولُ – وقدْ جَاءَ الغلامُ بصحنهِ عقيبَ طَعامِ الفِطْرِ – يا غايةَ المُنَى
بِعيْشِكَ قُلْ لِى : جَاءَ صَحْنُ قطائفٍ وَصَرِّح بمَنْ أهوى وَدَعْنى من الكُنَى

وقال سعد الدين :

قالَ القطائفُ للكنافةِ ما بالى أرَاكِ رقيقةَ الجَسَدِ
أنا بالقلوب حَلاوتى حُشِيَتْ فَتَقَطَّعى من كَثْرةِ الحَسَدِ

وإن كان عاد فقال :

وقطائفٍ مقرونةٍ بكنافةٍ من فوقهن السكَّرُ الْمذرورُ
هاتيكَ تطربنى بنظمٍ رائقٍ ويروقنى من هذه المنثور

وقال القاضى محيى الدين فى قطائف رديئة الصنع :

هَذِى قطائفُكَ التى لا تُشْتَهى نَقْلا وعَقْلا
حُشِيَتْ ببردٍ يابِسٍ فلأَجل ذاكَ الحشوِ تُقْلَى[1]

---

(١) تقلى من القلى . . وتقلى من الكراهية .

وقال صلاح الصفدى إلى الفاضل زين الدين أبى كثير زيد بن عبد الرحمن المغربى ملغزا فى القطائف :

« يا مولانا أَثْقَلَ اللهُ بفواضِلكَ الكوامل ، وأجملَ بفضائِلِك الأوايلَ مِن الفَضَائِل . إنْ أَمْكنكَ أنْ تَلْمَحَ هذا اللغزَ اللطيفَ ، وتُعْطِيهِ حظًّا من سَيَّالِ فكرِك الشَّرِيف ، تقلد المملوكَ بدماثة الفكرِ العميم ، وتحلَّ بورود لفظِهِ كما يتحلى بوجود شخصهِ بين يدىْ سيدٍ كريم :

ما اسمٌ يعتنى الصائمون غالبًا بتحصيلهِ ، وتتنافس الأكابر فى جملتِه وتفصيلهِ ، خُماسى الحروفِ فى الترصيفِ والترتيبِ ، مسطح الشكالةِ فى البساطةِ كرسى عند التركيبِ ، إنْ حُذِف خُمسَاه رأيتُه طائرًا وَسِيمًا ، طالما قَصَّ الأثرَ فاهتدَى به وغالبَ فى طُرق اللؤمِ تميمًا ، وإن اختلس فى أوله كان فى النفورِ الحسنية كالبال فى الليلِ البهيم ، وفى سُورةِ القلمِ نارًا أحرقت الجنة التى أصبحتْ كالصَّرِيم [(١)] .

عزمت على إهدائه غير مرة ... إلى بابك العالى فأمسكت عن قصدى
فَقَدْ قِيل عادات البحاير أنهم ... بإهدائه أولى فما جُزْتُ عن حَدِّى
فأوضحْهُ لى قولاً وإن شئتَ صورةً ... وإن شئتَ فارسمه فإنى لَه أبدى

---

(١) إذا حذفنا خمس القطائف يكون ما يبقى منها اسما لطائر معروف أشار إليه القاضى بقوله « غالب فى طرق اللؤم تميما » ، وهو يريد قول الشاعر يهجو تميما :

تميم بطرق اللؤم اهدى من القطا ... وإن سلكت سبل المكارم ضلت
ولد أن برغوثا على ظهر قملة ... رأته تميم يوم زحف تولت

قال صلاح الدين الصفدى فكتبت له الجواب وجهزت له منه صحنًا :

أمولایَ زَیْن الدین مبلِكْ مُهَنّدی ... نِداه وإن كان الصلاح عَدَا يَهْدی
بعثتُ بلغزٍ قد حَلا منك لفظُه ... فأجملُ ذكر الفضلِ فضلاً عن الشَّهْدِ
فسامحْ فقد أوضحته لك صورة ... على أنّه لابد من شرحٍ ماعِنْدی

یامولایَ لُغزك هذا بديعُ المعنی ، بعيد المَبْنی ، يترشفُه السمعُ سلافة ، ويتلقّفه البصر وَرْدَ اختصاص أرادَ اقْتطافه ، فأغْرَبْت فی قصده ، وأَحكَمْتُ عَقْد شَدِّهِ دلّنی علی مَعْنَاه ، حُسْن مَبناه ، وقرَّب التبيانَ من معْناه ، فلك الفضل فی حَلِّه ، وسحٍّ وابِلِهِ وطلِّه .

ومن غريبِ خواصِه أنه أخفّ من الحلاوة واللبن خطا ، ومن صحونِ ملانه أخماسه عاد قطا ، قد راقَتِ العُيون ملاحَتهُ ، وحُشِيَتْ بالقلوبِ حلاوتُه ، مختص بشهر رمضان ، لأنَّ فی قلبه حلاوةٌ كحلاوة الإيمان ، بعضُه يُقلَی وهو محبوب ، وآخر تحتَ القَطْر ، وأوله فوق الحجر المتبوُب ، يروقُك إذ نَشَرت عِقْده ، وفضَّلت زَوْجَهُ وَفَرْده وأَشبهُ شیءٍ بالكواكب إذا اشتملتْ بالمناشف المخمل ٣ وأحسنُ ماتُری تربًا إذا اجتمع شملها ، وأليق ما ينشد إذا جَفّ ثراها ، وانفصمت عُرَاها :

ألا فاسْلمی یادَارَ میٍّ علی البِلَی ... ولا زالَ مُنْهَلاًّ بجرعائِكِ القَطْر[١]

وكتب برهان الدين القيراطی إلی الشيخ تاج الدين السبكی لغزين ، أحدهما فی الكنافة والآخر فی القطائف :

---

(١) مطلع قصيدة ذی الرمة صاحب می وهو من كبار شعراء العصر الأموی ، وهو ممن أغرم بوصف الصحراء ومظاهرها .

لَكَ العُلا سلمت حَقًّا بإذْعَانٍ * فاحلُلْ مكانَك فى العَليا بإمْكَانِ
قَاضِى القُضاةِ ، خَطيبَ المُسْلمينَ وَمَنْ لِبَيْتِهِ فى المَعَالى خَيْر أَركَانِ
أَئمةُ الأَمَّةِ الأَعلامُ قَدْ نَشَرتْ أعلامَ عِلمِك للقاصِى وللدانى
هذَانَ لُغْزَانِ قَدْ حلاَّ بِبَابك يَا قاضى البرية ما هذَانِ خصْمان
اسْمَانِ كلٌّ خماسِىٌّ قد اكتُتبتْ حُروفُهُ وهما لا شكَّ خِدْنَانِ (١)
مَتَانِيًا فى الورى شكلاً إذا نُظرا وصُورةً وهما فى الأصْلِ مِثلانِ (٢)
يُرى بكانونَ إصلاحٌ لشأنهما كما لأصْلِها نَفْعٌ بِنَيْسَانِ
لَكنْ إلى الضِّيق منسوبٌ مَقَرُّهُما إنْ أُحضرا فى مكانٍ بين إخوانِ
فى البل يكفى وإنْ فَتَّشْتَ عنه تجدْ فى لُجَّةِ البحر مُلْقى خُمسه الثانى (٣)
نَبْتٌ أرى النارَ قد أبْدتَ لنا وَرَقًا فاعجبْ له وَرَقًا ينمو بنيرانِ
كُنافَةٌ هو لكنْ لا يُشم ولا يضاف يومًا إلى أزهارِ بُستَانِ
ذُو رقةٍ فإذا صَحفتَهُ ظَهَرت كنافَةٌ منه فاسْتُرْهُ بكتمان (٤)

---

* هذه القصيدة كما يبدو منها ركيكة العبارة ، سيئة النظم ، وقد أوردناها لتدل على مظهرين من مظاهر الحياة فى ذلك العصر ، ولع الناس بالبديع والإلغاز وخلو الحياة من موضوع عظيم يتحدث فيه الناس ويعبر عنه الشعراء.

(١) الكنافة والقطايف فكل منهما خماسى .

(٢) مختلفان فى الشكل متفقان فى الطعم .

(٣) الخمس الثانى هو (فه) وهو مأخوذ من (دفه) والتكلف فى استخراج اللغز واضح .

(٤) يريد أن القطايف لو صحفتها أو لو غيرت وبدلت فى حروفها لصارت كنافة ، وهو معنى كما يبدو تافه وفيه تكلف ظاهر.

وكم له من بُدورٍ كُمَّلٍ طلَعَتْ ... فى سائر قَطٌّ لم تُمْحَق بِنُقْصانِ
فقدَّها خَيط فَجر أبيضًا عَجِلاً ... بالبرقِ يسطو عليها سَطوةَ الجانى [1]
والاسمُ الآخُر ذاتٌ ذات ألسنةٍ ... لم يَبْدُ قَطٌّ لنَا بالنُّطقِ حَرْفان
ياحُسْنَهَا أَلْسُنًا أضحتْ حَلاوتُها ... يحلو المديحُ لها من كل إنسَانِ
تَطوى على الحشو أحشاءً وليس لها ... فى الأشعرية من دامٍ بِنكرانِ [2]
بالطىِّ والنشر فى حال قد اتضَحَتْ ... والطىُّ والنشرُ فيما قيل ضدان
كم سكَّرَتْ فَفَتحنا للدخولِ لها ... أبوابَها فتَلقَّتْنَا بإحْسَانِ
حسناءُ أجمعَ أهلُ الحلِّ أجمعهم ... والعقْدِ منَّا عليها بعد عرفَان
وصالُها حلّ بالإجماع فى زمنٍ ... فيه الوصالُ حَرَامٌ عند أَعْيَانِ [3]
تُقْلَى ولكن لها قلبٌ تُقَرِّبُهُ ... فَمَنْ قَلاها من الأقوام عِينَانِ
مامل راوٍ من القالى أماليَهُ ... عنْها وماخاطِرُ القالى لها شانى [4]
فى الجوفِ منها قلوبٌ حرَّة جمعت ... ولا يكون بجوف الشخص قَلْبانِ [5]

---

(١) يريد أن القطايف بدور قد قسمها البرق أهلة .

(٢) الأشعرية طائفة من الصوفية ممن يذهبون مذهب شيخهم الشعرانى فى الاعتقاد الراسخ بأولياء الله وتقديسهم ، حتى يصلوا بهم إلى مراتب الأنبياء ، ولكتب الشعرانى عندهم على مابها من أوهام وأباطيل قداسة واحترام لا حد لها .

(٣) يريد بالوصال الحرام صيام الوصال ، وهو مما أثر عن النبى ﷺ ولم يبح لأمته وهو صيام يومين مواصلة بلا طعام ولا شراب فيهما .

(٤) أبو على القالى صاحب كتاب الأمالى فى الأدب ، وهو لشهرته غنى عن التعريف وفى البيت تورية واضحة .

(٥) يشير إلى الآية الكريمة (ما جعل اللهُ لرجل من قلبين فى جوفه) .

كم ظلّ يطرحُها مَنْ ليس ذا سَرَفٍ جهرًا ويوصف مَعْ هذا بإتقانِ

فأجابه القاضى تاج الدين السبكى

وقال ظافر الحداد :

جام حوى فى الظّرفِ كل باب مستملحٍ منه ومُسْتطَابِ
فالحسن فيهِ واضحُ الأسبابِ مُنقطعُ الأشكال والأضْراب[1]
قَطَائفٌ لَواطفٌ رَوَابى لَم تُحْش بل رُصَّت بلا أصحابِ
فى المسكِ والفُستُق والجلباب كأنَّها ألسنةُ الأحْبابِ
فى الشَّكلِ والنكهةِ والرُّضَاب مَلْمَسُها كوجْنةِ الكِعَابِ
فطعمُها كلذة العتَاب من بَعدِ صَد طالَ واجتنَابِ
تنزلُ فى الحَلْقِ بلا حِجَاب وهى طعام وهى كالشرابِ

وقد جمع الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى المولود ٨٤٩ هـ فى كتاب أسماه [منهل اللطائف فى الكنافة والقطائف] . كثيرًا مما قاله الشعراء فى باب الكنافة والقطائف .

وقد ظل الناس على حبهم لها إلى اليوم ، فهما أهم ما يقدم للصائمين فى موائد رمضان المبارك .

حب توارثه الأبناء عن الآباء .

هاتِ القطائف لِى هُنا فالصومُ حَبَّبَها لَنَا

---

(١) الأضراب جمع ضرب وهو المثل والشبيه .

قد كانَ يأكُلها أبى وأخى واكـرهُـهَا أنَـا
لكِنَّنى مُنْذُ ذُقتها ذُقْتُ السعادةَ والمُنى

وهناك أنواع كثيرة من الحلوى ، تعرفها موائد رمضان ولكن ليس لها شهرة الكنافة والقطائف منها (اللوزينج) و (الزلابية) و (المشبك) و (الفالوذج) و (أصابع زينب) و (الخبيصة) .

واللوزينج : نوع من الحلواء يصنع من نوع من الخبز ، ويحشونه بالجوز كما يسقى بدهن اللوز .

قال شاعر العربية الأكبر ابن الرومى وكان شرها يحب الأكل يصف اللوزينج :

لا يخطئنى منك لوزينج إذا بدا أعجب أو عجبا
لو شاء أن يذهب فى صخرة لسهل الطيب له مذهبا
لم تغلق الشهوة أبوابها إلا أبت زلفاه أن يحجبا
يدور بالنفحة فى جامه دورًا يرى الدهن له لولبا
عاون فيه منظر مخبرًا مستحسن ساعد مستعذبا
مستكشف الحشو ولكنه أرق جلدًا من نسيم الصبا
كأنما قدت جلابيبه من نقطة القطر إذا حببا
يكادُ من رِقة خرشانه شارَكَ فى الأجنحة الجَنْدبَا
لو أنَّه صَير من خبزه ثغر لكان الواضح الأشنبا
من كلِّ بيضاءَ يوَد الفَتى أن يجعَل الكف لها مَرْكبَا

مَدْهُونة زرقاءُ مدقوقة شهباء تحكى الأزرقَ الأشْهَبا
قوة عين وفم حسنت وطيبت حتى صَبَا من صَبَا
ديف له اللوز فما مرة مرَّت على الذائق إلا أَبَى
وانتقَد السُكّر نُقاده وشَاوروا فى نقدِه المذْهَبَا
فلا – إذا العين رأتْهُ – نبت ولا – إذا الضرس علاه – نبا

وقال يصف (الزلابية) :

ومُستقر على كرسيه تَعِبٌ روحى الفداء له من مَنصب تَعبِ
رأيته سَحَرا يقلى زلابيةً فى رقةِ القِشْرِ والتجويف كالقصبِ
يلقى العجين لجينًا من أَنَامِله فيستحيل شَبَابيكًا من الذَّهب

وقال شاعر فى الفالوذج المعقود :

فالوذجُ يمنعُ من نيلهِ ما فيه مِنْ عقد وإنضاجِ
يسبحُ فى لُجةٍ ياقوته للوز حيتان من العاجِ
كَأَنَّمَا أُبرز من جامِه ثوبٌ مِنَ اللاذِ بديباجِ

ويصف أبو طالب المأمونى الخبيصة فيقول :

خبيصة فى الجام قد قُدمَتْ مدفونةً فى اللوزِ والسكر
يأكلُ من يأكُلها بكفه خمسةً فيها وَلَم يَشْعُرِ

ومن طريف مايروى أن المصريين تقدموا إلى المحتسب عام ٩١٧ هجرية بشكوى منظومة يتظلمون فيها من ارتفاع أثمان الحلوى .

وقد جاءت مهلهلة المبنى والمعنى يقولون فيها :

لقد جادَ بالبركات فضل زَمَانِنَا بأنواعِ حلوى نَشْرها يَتَضوَّعُ
حَكتها شِفاهُ الغانياتِ حلاوةً ألم تَرنى من طعمها لستُ أشْبَعُ
فلا عَيْب فيها غَيْر أنَّ محبَّها يُبَدِّدُ فيها مالَهُ ويُضَيِّعُ
فَكَمْ (ستِّ حُسنٍ) مَعْ (أصابع زينب) بها كلُّ ماتهوى النفوسُ مُضَيَّعُ
وكم كعكةٍ تحكى أساورَ فضةٍ وكم عُقدٍ حُلَّت بها البُسْطُ أجمعُ
وكمْ قَدْ حَلاَ فى مصرَ من (قاهرية) كذاكَ [المُشبك] وصله لَيس يُقْطعُ
وفى ثوبِه المنقوشِ جَاء برَونق فياحبذا أنْوَاره حين تَسْطعُ
وَقَدصِرتُ فى وَصْفِ(القطائفِ) هائمًا تُرانى لأبْوابِ (الكُنافة) أَقْرَعُ
فيَا قَاضيًا مُحْتسبًا عَسَى تُرَخِّص لنا الحَلوى نَطيبُ ونرتعُ

ومن طريف ما يروى عن حلوى (الفالوذج) : أن أعرابيًّا جلس على مائدة سليمان بن عبد الملك فى شهر رمضان ، فقدموا إليه الفالوذج فالتهمه بنهم شديد.

فقال سليمان : أتدرى ماذا تأكل أيها الأعرابى ؟

قال : بلى ياأمير المؤمنين ... أنا لا أجد إلا ريقًا هينا ، ومزدردا لينًا ، وأظنه الصراط المستقيم الذى ذكره الله فى كتابه العزيز.

فضحك سليمان وقال : هل أزيدك ياأعرابى فقد قالوا : إنه يزيد فى الدماغ.

قال الأعرابى : لا تصدق ياأمير المؤمنين.

فلو كان الأمر كما قلت لكان رأسك مثل رأس البغل.

وأشهر أنواع الحلوى عند العرب التمر فهم يعدونه طعامًا كاملا.

قيل : إن قيصر كتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأرضاه قال :

إن رسلى أخبرونى أن بأرضك شجرة كالرجل القائم ، تفلق عن مثل آذان الحمر ، ثم يصير مثل اللؤلؤ ، ثم يعود كالزمرد الأخضر . ثم يصير كالياقوت الأحمر والأصفر ، ثم يرطب فيكون كأطيب فالوذ اتخذ ، ثم يجف فيكون عصمة للمقيم وزادًا للمسافر ، فإن كان رسلى صدقونى ، فهى الشجرة التى نبتت على مريم بنت عمران .

فكتب إليه عمر :

إن رسلك صدقوك ، وهى شجرة مريم(١) فاتق الله ، ولا تتخذ عيسى إلها من دون الله قال الشاعر فى البلح :

كأنَّه فى بَاطِنِ الأَفْنَان ... زمردٌ لاحَ عَلَى التيجانِ
حتى إذا تَمّ لَهُ شهرانِ ... وانسدلتْ عَثَاكِلُ القنوانِ
كأنّها قُضب من العقيانِ ... فُصلنَ بالياقوتِ والمَرجانِ
من قانٍ أحمر أرجوانِ ... وفاقعٍ أصفرَ كالنيرانِ
مثل الأكاليل على الغوانى

وكثيرًا ما كانت الحلوى مادة للشعر الفكاهى . ومن أشهر الشعراء الذين كتبوا فى هذا اللون الشاعر حسين شفيق المصرى ، وقد أطلق على ما قاله من الشعر فى

---

(١) قال تعالى : (فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريًا ، وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رُطَبًا جنيًّا ، فكلى واشربى وقرى عينا . .) .

هذا اللون بالشعر الحلمنتيشى ، وكان الشاعر مولعًا بقلب القصائد الجدية إلى هزلية فى أسلوب بين الفصحى والعامية .

وقد عارض المعلقات المأثورة بقصائد أسماها « المشعلقات » . وعارض بعض القصائد القديمة والحديثة وأسماها المشهورات .

ومن هذه القصائد قصيدة أبى العتاهية :

ألاَ مـا لِسَـيـدتى مَـالَـهـا أدلاً فـأحـمِـلُ إدْلاَلَـهـا

وقد عارضها بأسلوبه الفكه فى مطالب رمضان قال :

أظـن الـولـيـة زعلانـة وما كنت أقصد إزعالها
أتى رمضان فقالت هاتولى زكـيـبـة نقل فجبنا لها
ومن قمر الدين جبت ثلاث لـفـائـف تـتـعب شيالها

وعارض حسين شفيق قصيدة أبى العلاء المعرى ومطلعها :

عللانى فإن بيض الأمانى فنيت والظلام ليس بفان

قال مندّدًا بهؤلاء الذين ينتهزون شهر رمضان ليكتروا من الأكل حتى يصابوا بالتخمة :

نصف شعبان قد مضى ووراء النصـ ـف باقى الأيام من شعبان
فترى كل من تحب وتهوى من شهى الطعام فى رمضان
من كباب وكفتة وفطير وكنافا متقونة فى الصوانى

وفـراخ محمـرات بسـمـن خير ما يشترى من الفخرانى
واذكر المشمش البديع خشافًا بزبيب له أعض لسانى
وإذا ما شربت من قمر الدين فخذه فى صفرة الكهرمان
وابدأ الأكل حينما يضرب المد فع والهط واشفط وقربع كمان
غير أنى أخاف أن يتخم الأبعـ ـد أوأن يصاب بالزوران
ليس معنى الصيام لو كنت تدرى جرعة ثم أكلة عميانى
بل يصومون حمية للتداوى إن فى الجوع صحة الأبدان

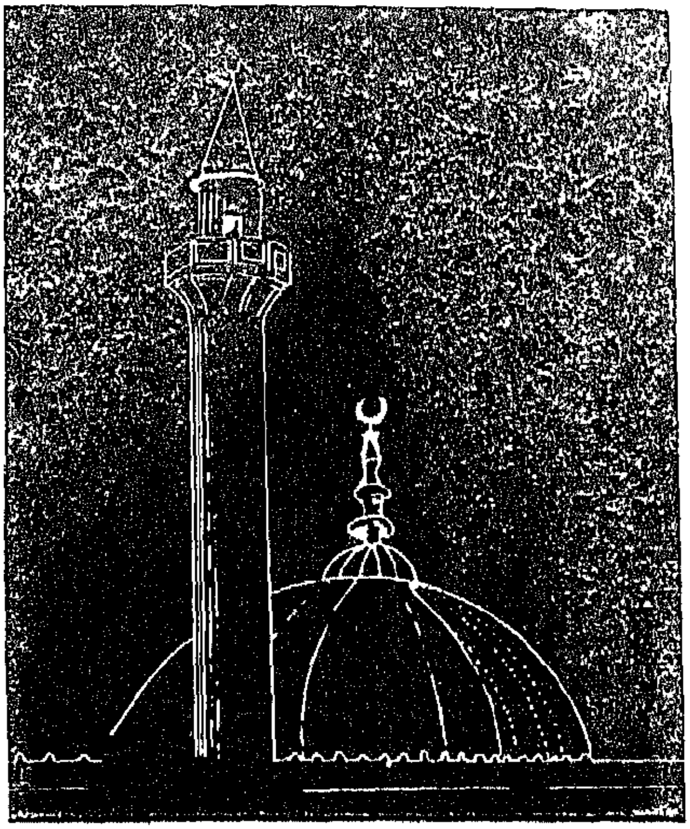

من طرائف رمضان

أعرابي وناقته

دخل أعرابي من باب مسجد رسول الله ﷺ ليصلي وترك ناقته بباب المسجد حتى يتم صلاته ، فلما أتمها وخرج لم يجدها ، فسأل عنها فعابثه بعض شباب من الأوس وقالوا له « سرقها من فرض عليك الصلاة والصيام » .

فصدق الأعرابي ... ورفع رأسه إلى السماء وقال :

أتسرق ناقتي وتريد مني صلاة عند بابك أو صياما
فأقسم لا أصلي بعد يومي ولا ألقى طواعية إماما
ولست بصائم رمضان عمري ولا مُلْقٍ لدعوته الزماما
وإن نادى المؤذن فجر يوم فلن أدع الشراب ولا الطعاما
وإن قالوا الحلال خفضت صوتي وأرفعه إذا قالوا الحراما

ثم مال إلى إناء فيه ماء فشرب منه وقال :

لا صوم حتى تعود راحلتي ويستجد الإله مرضاتي

ولا يطيل الملام مرتحل إن يلقنى راجلا بموماة
وهل يطيب المقام فى بلد أصيد جرذانه بحياتى

الحجاج والأعرابى

خرج الحجاج ذات يوم قائظ فأحضر له الغذاء فقال :

اطلبوا من يتغذى معنا ، فطلبوا فلم يجدوا إلا أعرابيًّا ، فأتوا به فدار بين الحجاج والأعرابى هذا الحوار .

الحجاج : هلم أيها الأعرابى لنتناول طعام الغداء .
الأعرابى : قد دعانى من هو أكرم منك فأجبته .
الحجاج : من هو ؟ .
الأعرابى : الله تبارك وتعالى دعانى إلى الصيام فأنا صائم .
الحجاج : أصوم فى مثل هذا اليوم على حره .
الأعرابى : صمت ليوم أشد منه حرًّا .
الحجاج : أفطر اليوم وصم غدًا .
الأعرابى : أو يضمن الأمير أن أعيش إلى الغد .
الحجاج : ليس ذلك إلى فعلم ذلك عند الله .
الأعرابى : فكيف تسألنى عاجلا بآجل ليس إليه من سبيل .
الحجاج : إنه طعام طيب .
الأعرابى : والله ماطيبه خبازك ولا طباخك ولكن طيبته العافية .
الحجاج : بالله مارأيت مثل هذا ، جزاك الله خيرًا أيها الأعرابى .
وأمر له بجائزة .

مدعى النبوة

كان المأمون يسهر فى رمضان مع بعض أخصائه ، ومعهم القاضى يحيى بن أكثم فدخل عليهم رجل يزعم أنه النبى إبراهيم الخليل .

قال له المأمون : كانت لإبراهيم معجزات هى أن النار تكون عليه بردًا وسلامًا ، وسنلقيك فى النار فإن لم تمسك آمنا بك .

قال الرجل : بل أريد معجزة أخرى .

فقال المأمون : فمعجزة موسى بأن تلقى عصاك فتصير ثعبانًا ، وتضرب بها البحر فينشق ، وتضع يدك فى جيبك فتخرج بيضاء من غير سوء .

قال الرجل : وهذه أثقل من الأولى أريد أخرى أخف .

فقال المأمون : فمعجزة عيسى عليه السلام وهى إحياء الموتى .

قال الرجل : مكانك إنى أقبل هذه المعجزة ، وسأضرب الآن رأس القاضى يحيى ثم أحييه لكم الساعة .

فهب القاضى يحيى قائلا : « أنا أول من آمن بك وصدق » فضحك المأمون وأمر له بجائزة وصرفه .

خفت أن أموت عاصيًا

شوهد أعرابى يأكل فاكهة بالنهار فى شهر رمضان فقيل له :

« ما هذا ؟ فقال الأعرابى : رأيت فى كتاب الله (كلوا من ثمره إذا أثمر) وقد خفت أن أموت قبل وقت الإفطار فأكون عاصيًا .

لا تصم إلا ويدك مغلولة إلى عنقك

جاء رجل يومًا إلى فقيه يستفتيه ، فقال له : لقد أفطرت يومًا فى رمضان بعذر . فقال اقض يومًا . قال : قضيت وأتيت أهلى وقد صنعوا (ميمونة) فامتدت إليها يدى وأكلت منها ، قال : فاقض يومًا آخر .

قال : قضيت وقد أتيت أهلى وقد صنعوا (هريسة) فسبقتنى يدى إليها وأكلت منها .

قال : الرأى عندى أنك لا تصوم إلا ويدك مغلولة إلى عنقك .

بيت قديم

كان رجل فقير يسكن فى بيت قديم ، وسقفه دائمًا يقرقع لأية حركة ، فلما جاء صاحب المنزل قال له الساكن : أصلح السقف أصلح الله حالك فأجابه قائلا : لا تخف أيها الساكن إن السقف صائم يسبح ربه ، قال الساكن أخشى أن يزيد فى التسبيح ، وأن يتلو آية من آيات السجدة فيسجد سجدة لا يقوم بعدها أبدًا .

عمر بن عبد العزيز والأعرابى

كان من عادة عمر بن عبد العزيز وهو والى المدينة أن يصلى فى رمضان الصلوات الخمس كلها ، فى مسجد رسول الله ﷺ .. وبينما هو يصلى العصر رأى

أعرابيًّا يأكل بجانب قبر الرسول ، فدنا منه فقال له : (أمريض أنت ؟) قال : (لا) قال : (أعلى سفر ؟ قال : (لا) قال : (فما لك مفطر والناس صائمون ؟) قال الأعرابي : (إنكم تجدون الطعام فتصومون . وأنا إن وجدته لا أدعه يفلت مني) .

ثم أنشد :

ماذا تقول لبائس متوحد ... كالوعل فى شعب الجبال يقيم
يصطاد أفراخ القطا لطعامه ... وبنوه أنضاء الهموم جثوم
والقوم صاموا الشهر عند حلوله ... لكنه طول الحياة يصوم

لو جاءنى لأعطيته

قال الطرماح وهو شاعر أموى :

على رمضان رحمة الله إنه ... تولى ولم نظفر بما فيه من نقل
ولو كنت ناديت الخليفة من أجًا ... وسلمى للبانى ولم يطلب دخلى
لبست جديدًا من ثيابى فما له ... بخيلا بأن يعطى الجديد من النعل
ولو كان أعطانى لقلت تحية ... لمن داره دارى ومن أهله أهلى

وحين بلغت أبياته معاوية بن أبى سفيان قال :

« لو جاءنى لأعطيته ماشاء » .

الله يغفر الذنوب

دق نصيب على الأحوص بابه فأبطأ عليه ، وكان الأحوص حين سمع صوته

يخفى ما كان أمامه من طعام وشراب ، حتى لا يراه مفطرًا فى رمضان .. فلما فتح قال له نصيب :

(أراك أبطأت على) .

قال الأحوص :

(كنت فى بيت الخلاء) .

فقال نصيب :

(وأين عبيدك يفتحون لى ... إنما كنت تأكل وكنت تخشى أن أراك) .

فقال الأحوص :

الله ربى يغفر الذنوبا
فلا تكن من دونه رقيبا
إن شئت قدمنا لك الحليبا
وإن تشا فالرطب العجيبا
من هجر جئنا به رغيبا
تغرى به العيون والقلوبا

فقال نصيب وكان تقيا :

كل ما تشاء إننى لصائم
والله ربى بالقلوب عالم
والنار فيها للذنوب جاحم
وكيف ينجو فى الحساب الآثم
إنى على ذنبى لديه نادم
وليس لى من لوم ربى عاصم

ابن الراوندى وشهر رمضان

كان ابن الراوندى ضخم الجثة شرهًا مبطنًا ، وقد تعشق فتاة رشيقة لعوبًا ، وطلب يديها من ذويها فقالت : حتى تزول السمنة ، فتعجب الرجل متى يكون ذاك ؟ فقالت : إذا صمت رمضان . وكان الزنديق ملحدًا لا يعترف بصيام .

ولكنه اضطر إلى الصيام وفى ذلك يقول :

وقائلة وقد خطرت أمامى ... سمنت وكنت قبل إذن نحيفا
وراءك فى غد شهر طويل ... فصمه لكى تكون فتى خفيفا
لوجهك لا لوجه الله صومى ... ولو أنى لقيت به الحتوفا

أشعب فى رمضان

كان أشعب أشد الناس طمعًا ، فدخل على أحد الولاة فى أول يوم من رمضان يطلب الإفطار ، وجاءت المائدة وعليها جدى ، فأمعن فيه (أشعب) حتى ضاق الوالى وأراد الانتقام من ذلك الطامع الشره فقال له :

اسمع يا أشعب إن أهل السجن سألونى أن أرسل إليهم من يصلى بهم فى شهر رمضان ، فامض إليهم وصل بهم واغنم ثوابهم .

قال أشعب وقد فطن إلى نقمة الوالى منه : أيها الأمير تعفينى من هذا نظير أن أحلف لك بالطلاق والعتاق ، أنى لا آكل لحم الجدى ما عشت أبدًا .

فضحك الوالى .. وأعفاه .

ابن ميادة وشهر رمضان

جاء ابن ميادة إلى المدينة فى شهر رمضان (شهر الصوم) وكان ممن يعيشون فى البادية ، ولا يفارقونها إلا قليلا ، وقد رأى مئذنة مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام قد علقت عليها المصابيح ، ورأى رجلا يجلس أمام داره فسلم عليه ، فرد عليه السلام ، ودعاه للجلوس فجلس .. وقال للرجل صاحب الدار : (ما هذه المصابيح علقتموها على مسجد الرسول ؟ .

فقال صاحب الدار : « نحن فى شهر الصوم .. » .

فقال ابن ميادة :

مصابيح تهدى السالكين فليتها ... معلقة فوق الذرا من يلملم
أهذا قصارى الدين يا قوم عندكم ... وغاية ما يرجى لدى كل مسلم
سألتك بالشهر الذى أنت صائم ... وبالملتقى بين الحطيم وزمزم
أحللت عند الصوم مالا يحله ... وحرمت عند الصوم مالم يحرم
مناسككم كالأمس فى جاهلية ... وأيامكم موصولة بجهنم

فقال صاحب الدار : « ويلك يا هذا .. من تكون ؟ » .

فقال ابن ميادة :

« أنا ابن ميادة .. وما إخالك تعرفنى » .

فقال : بل أعرفك :

ألست أنت الذى قال فيه يزيد بن الطثرية :

ستعلم ياميا د أنك مفرد لئيم ومحلول الإزار بطين
وأنك إن مدوا الموائد فارس ومالك فى هذا النزال قرين

قال ابن ميادة : « ويلك أتشتمنى وأنا ضيف » ؟ .
فقال صاحب الدار : أنت الذى بدأت .

شاعر أهل البيت وبنو أمية

كان السيد الحميرى شاعر أهل البيت ، قصر شعره كله عليهم واشتهر عند ذلك وكان يكتبه باللغة الدارجة فى أيامه ، فكان لذلك سهلا قريب المعانى من الناس .
وقد سئل مرة عن دينه فقال :

إنى أدين بما دان الوصى به وشاركت كفه كفى بصفينا

والوصى عند الشيعة هو الإمام على رضى الله عنه . وقد شهد السيد الحميرى رجلا من بنى أمية فى شهر الصيام صائمًا ، فقال له حين أصبح منه دانيًا :

دعوا الصوم للعبَّاد لستم بأهله ولا أنتم منه ، ولا هو منكم
وأعجب أن صلى التراويح ظالم وما نفعت من بات للناس يظلم
يسىء لآل البيت عمدًا ومادرى بأن عمود الدين قام عليهم
إذا ذكروا فى الليل أو فلق الضحى غدونا نصلى عندهم ونسلم

يوم الشك

تقضي الشريعة الإسلامية بأنه لا صيام لشهر رمضان حتى تثبت الرؤية ، وقد كان الصوم فى يوم الشك مثار خلاف بين الفقهاء .

ومن طريف ما يروى أن (شريكًا) قاضى المسلمين على عهد (الرشيد) ، كان فى مجلس الخليفة فى يوم الشك والفقهاء عنده ، فلم يزالوا جلوسًا إلى الظهر ينتظرون الأنباء من هنا وهناك ، فجاءت بأن الهلال لم يره أحد البارحة ؛ وكان بين يدى الخليفة تفاح ، فطرح إلى كل من الجالسين تفاحة ، فأكلوا إلا القاضى (شريكًا) فإنه لم يقرب تفاحته ، فأراد الفقيه الكبير (أبو يوسف) أن يوقع بين الخليفة وقاضيه فقال : انظر ياأمير المؤمنين إلى قاضيك يخالفك ، إذ أنه أبى أن يأكل ويريد أن يتم صيام اليوم ؛ ووجد القاضى نفسه فى مأزق ، ولكن بديهته أسعفته بقوله : « لم أخالفك ياأمير المؤمنين بل هو الذى خالفك وأصحابه ....

إنما أنت إمام ونحن الرعية لا نفطر حتى تفطر أنت ، وليس لنا أن نتقدمك قال الخليفة (صدقت) ثم أكل وبعده أكل شريك .

البخيل والشاعر

دخل شاعر على رجل بخيل فامتقع لون البخيل واضطربت أوصاله ، وظن أن الشاعر لابد آكل عنده وإلا تعرض للهجاء ، ولكن الشاعر ترفق بالرجل ، ولم يكن يرضى أن يطعم من طعامه ، ووصف حال ذلك البخيل قائلا :

تغير إذ دخلت عليه حتى فطنت فقلت فى عرض المقال
على اليوم نذر من صيام فأشرق وجهه مثل الهلال

وقال أحدهم فى البخل :

ركبتُ أطوّف فى الجانبين وأقطعُ عُمَرَ زمانِ الصيامِ
فلم ألق إلا صديقًا يجود بطيبِ الكلامِ وحُسْنِ السّلامِ
ولو أنّنى كنْتُ فى بَيْتِه سَقانى بكفَّيْهِ كأْس الحِمامِ
فكيفَ أكونُ إذا ما قَصَدتُ لأكلِ الطعامِ وشُربِ المُدامِ

وقال ابن سكرة الهاشمى يصف البخل الذى يراه من بعض من يغشى منازلهم فى الشهر الكريم ، الذى يملأ بخيراته الدنيا :

أما الصيام فشيء لستُ أَعْدَمُهُ مَدى الزمانِ وإن بَيَّت إفْطَارَا
أَغْشَى أُناسًا فأَغْشَى فى مَنَازِلِهم جُوعًا علىَّ ولا أَغْشَى لَهُم نَارا
قَدْ أُلْجموا القَمْلَ أن تَرْزَا دِمَاءَهُمو وألجموا فى الكُوى الجرذَانَ والفَاراَ

ويصف لنا أسامة بن منقذ أيام السلطان محمود نور الدين زنكى ، وما فيها من شظف العيش فيبدع ويجيد :

سُلطانُنَا زَاهِدٌ والناسُ قد زَهدوا به فكلٌّ عن الخيراتِ مُنْكَمِشُ
أيامه مثل شهر الصومِ خاليةٌ من المعاصى وفيها الجوعُ والعَطَشُ

ويقول ابن عبد ربه فى بخيل بالطعام :

لا يفطِر الصَّائمُ من أَكله لكنّه صومٌ لِمَن أَفْطَرَا

فى وَجْهه مَن لُؤْمه شاهدٌ يكفى به الشاهد أن يُخبرَا
لم يعرِف المعروفَ أَفعالُه قط كما ينكر المُنْكرا

وقال جحطة البرمكى فى بخيل دعاه لأكل قطائف شهر رمضان :

دعانى صديق لى لأكل القطائف فأمعنت فيها آمنًا غير خائف
فقال ، وقد أوجعت بالأكل قلبه رويدك مهلا فهى إحدى المتالف
فقلت له : ما إن سمعنا بهالك ينادى عليه ياقتيل القطائف

رمضان فى المحكمة

ازدحم الناس فى مسجد القرية لصلاة أول جمعة من رمضان المبارك ، ووصل الخطيب من خطبته إلى الحديث النبوى قال : قال رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام :

« من صام رمضان وأتبعه **بستة** من شوال فكأنما صام العام كله »

فتنحنح بعض المصلين إيذانًا بخطأ وقع فيه الخطيب ، فراجع الخطيب نفسه وقال :

قال رسول الله ﷺ :

« من صام رمضان وأتبعه **بست** من شوال فكأنما صام العام كله » .

فتنحنح المعارضون مرة أخرى ، فصاح مصلون آخرون : ما هذه المشاغبة ؟ لقد قال لكم [**بستة**] فلم يعجبكم ثم قال لكم [**بست**] فأصررتم على تخطئته .

فقال حزب اليسار :

ليس الخطأ فى ستة وست ، بل الخطأ فى رمضان إن الصواب هو [**رمضانًا**] بالتنوين .. **رمضانًا** أيها المغفلون ، رمضانًا أيها المغفلون ؟ إنه **ممنوع** من الصرف للعلمية وزيادة الألف والنون .

واختلطت الأصوات ، وتساقطت الشتائم مدرارًا ، وارتقى الشجار من شتائم إلى تلاكم ، واشترك الخطيب فى المعركة وبطلت الصلاة وسقط عشرات من الجرحى وانتقل الجميع إلى أقسام البوليس ، وانتهى الأمر بهم إلى المحكمة .

وفى يوم الجلسة كانت قاعتها والشوارع المحيطة بالمحكمة مزدحمة بأهل القرية رجالا ونساءً وأطفالا . ولاحظ وكيل النيابة كثرة عدد المتهمين قال :

أنصار [**رمضان**] يقفون إلى اليمين وأنصار [**رمضانًا**] يقفون إلى اليسار .

وتقدم إلى القاضى رجلان كل منهما يمثل أحد الفريقين المتشاجرين قالا :

لقد جئنا بغير محامين ولن نترافع فى قضية الضرب ، لأننا معترفون بالتهمة راضون بحكم القانون فيها ، إنما الذى نريد أن تقضى فيه المحكمة ، هو : أينا على صواب ؟ القائلون **بالتنوين** ؟ أم القائلون **بالمنع من الصرف** ؟..

ونظر القاضى وأمر بأن يمثل أمامه حملة شهادة العالمية من الفريقين وأن يعرض كل حجته :

قال الذين أصروا أن تكون [رمضانًا] :

إن حجتنا أنه **نكرة مقصودة** ، وأن المراد بالحديث من صام أى شهر من شهور رمضان التى تمر به فى حياته .

قالت المحكمة فى نهاية الحكم :

إنها تقدر الباعث العلمى الشريف الذى دعا إلى هذا الشجار ، واكتفت بأدنى عقوبة للمتشاجرين .

أما قضية رمضانًا فقد قالت :

إن علم النحو يجيز الوجهتين – لكن مادام الخلاف منصبًّا على قول مروى عن الرسول عليه الصلاة والسلام ، فقد وجب الاعتماد على علم الحديث وحده ، وبما أن الرواة قد اتفقوا على المنع من الصرف فالمحكمة تحكم بالآتى !

صواب القائلين : (رمضان)

وخطأ القائلين : (رمضانا)

فتعالى الهتاف ودوى فى ساحة المحكمة ليحيا القضاء العادل

يحيا رمضان

يسقط رمضان

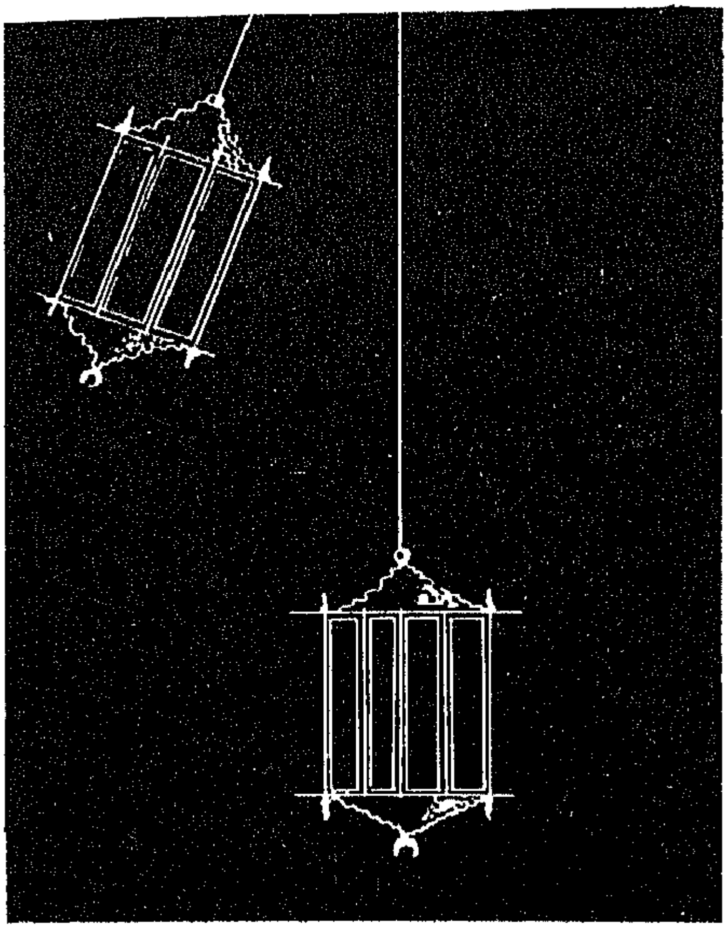

فانوس رمضان

الفانوس : جهاز يقى مصدر الضوء من الريح أو المطر . والفانوس من الفنون التشكيلية ، ويعادل عروسة المولد ...

والفانوس فى القاموس : النمام ، وعن المازرى أنه قال : كان فانوس الشمع منه لأن كليهما يشترك فى النميمة أى الكشف عن المستور وبيان ماخفى ..

وذكر المؤرخون : أن الفانوس كلمة إغريقية تشير إلى إحدى وسائل الإضاءة التى عرفت فى قديم الزمان ، وأنها مرادفة للمشاعل ، والمسارج ، والمصابيح ، والقناديل ، والشمعدانات .. وأنه استخدم أيام الرومان ، وأن جوانبه كانت تصنع من القرون الرفيعة ، لحماية المشاعل الزيتية ، وأن هذا النوع من الفوانيس ظل يستعمل حتى العصور الوسطى .

وذكروا أن الفوانيس كانت تصنع فى عصر النهضة من المعدن المثقوب ..

واستخدمت الفوانيس المصنوعة من الورق أو المنسوجات الرفيعة فى الشرق . أما فى الشرق الأوسط ، فقد استخدمت الفوانيس المصنوعة من النحاس المشغول .

ولم يتشكل الفانوس فى صورته الأخيرة التى نراها عليه اليوم ، إلا فى نهاية القرن الماضى .

فانوس رمضان :

استخدم الفانوس فى صدر الإسلام فى الإضاءة ليلا للذهاب إلى المساجد ، والزيارة ليلا للأصدقاء والأقارب ، واستعمل كذلك لتنبيه الصائمين فى وقت السحور ، فإن معنى إطفائه ، أن وقت منع الطعام والشراب قد حان .

أما فانوس رمضان ، فقد عرفه المصريون فى الخامس من رمضان عام ٣٥٨ هجرية ، وهو اليوم الذى دخل فيه المعز لدين الله الفاطمى القاهرة . وكان قدومه إليها ليلا فاستقبله أهلها شيبًا وشبانًا ، ونساءً وأطفالا بحفاوة بالغة حاملين المشاعل ، والفوانيس مرددين هتافات الترحيب .

وبعد أن كان الفانوس يستعمل للإضاءة ، جدت له بدعة جديدة ، إذ حمله الأطفال بعد طعام الإفطار فى رمضان المبارك ، وراحوا يطوفون به فى الشوارع والأزقة ، يطالبون بالهدايا من أنواع الحلوى التى ابتدعها الفاطميون ، الذين جعلوا من رمضان موسمًا كريمًا للبذل ، والعطاء ، تمكينًا لدعوتهم الجديدة ، وتحبيبًا للناس فى مذهبهم الجديد .

وأخذت بعد ذلك تتأصل فيهم هذه العادة ، حتى أصبح الفانوس ملتصقًا بشهر رمضان ، وأصبحت هذه هى لعبة الأطفال ، يطوفون بها فى الأحياء مهللين مكبرين منشدين :

ادونـــا الـعـــادة ربى يخليـــكـــم
لـبـــده وقلادة ربى يخليـــكـــم

الفانوس طقطق
والشمعه ساحت

وبدأ الناس منذ ذلك التاريخ ، يفتنون فى إخراج الفوانيس فى أشكال هندسية بديعة ، وعلى الرغم من أن هذه الصناعة – صناعة الفوانيس – أصبحت من أقصر الصناعات عمرًا ، حيث تعيش شهرًا واحدًا لتموت بقية العام ، فلم تعد تستعمل كما كان من قبل فى الإضاءة ليلا ... فإن القاهرة لا تزال عامرة بالمفتنين فى هذه الصناعة ، حتى أن الفوانيس المتداولة خلال شهر رمضان تقرب من ثلاثمائة ألف فانوس .

ولقد داعب فانوس رمضان خيال الشعراء ، ومن طريف ما يروى ، تلك المساجلة التى تبارى فيها (أبو الحجاج يوسف بن على) و(ابن الظافر) و(أبو محمد القلعى) و (الرشيد عبد الله محمد) و(أبو الحسن النبيه) حين اقترحها عليهم (أبو الحجاج) فى جامع عمرو بن العاص وبدأها بقوله :

وَنجْمٍ مِنَ الفَانوس يُشْرِقُ نُوره ولكنه دُون الكواكبِ لا يَسرى
وَلم أَرَ نَجْمًا قَط قَبْلَ طلُوعِهِ إِذَا غَابَ يَنْهى الصَّائمين عن الِفطْرِ

فلما قال له ابن الظافر : إن هناك نجومًا لا تدخل تحت الحصر ، إذا غابت تنهى الصائمين عن الفطر وهى نجوم الصباح .

أضاف أبو الحجاج :

هذَا لِواءُ سَحور يهتدون به — وَعسكَرُ الشُّهْب فى الظَّلْمَاء جَرّارْ
والصَّائمونَ جَميعا يَهْتدونَ بِه — «كأنه علمٌ فى رَأْسِهِ نَارُ[1]»

وقد قال الرشيد أبو عبد الله محمد حين استمع إلى تلك المساجلة :

أحْبِبْ بِفَانُوس غَدَا صَاعِدًا — وَضوؤه دَان مِنَ العيْن
يَقضى بِصوْمٍ وبفطر مَعًا — فَقَدْ حوَى وَصْف الهلالَيْن

وأنشد أبو محمد القلعى :

وَكوكبٍ منْ ضرامِ الزَّنْد مَطلعُهُ — تَسْرى النجوم ولا يسرى إذَا رقِبَا
يُرَاقبُ الصُّبحَ خَوْفًا أنْ يُفاجِئَهُ — فَإِنْ بَدَا طَالِعًا فى أفقِه غَرَبَا
كَأَنَّه عَاشقٌ وافَى على شَرَفٍ — يَرْعَى الحبيبَ فإنْ لاَحَ الحبيبُ خَبَا

وقال ابن الظافر :

أَلَسْتَ تَرى شَخص المنارِ وعودهُ — عليه لفانوس السحور لهيبُ
كحامِلِ مَنْظومِ الأنابيب[2] أَسْمَرٌ — عَليهِ سِنَان بالدِّماء خَضيبُ
تَرَى بينَ زَهْرِ الزُّهر[3] منه شقَيقَةً — بِهِ العودُ غض والمنار كَثِيبُ

---

(١) شطر البيت للخنساء :

وإن صخرًا لتأتم الهداة به — كأنه علم فى رأسه نار

(٢) حامل منظوم الأنابيب الرمح .

(٣) الزهر : جمع زهراء وهى النجوم ، والشقيقة واحدة الشقائق وهى زهرة شديدة الاحمرار .

وتبدّى كخدٍّ أحمرِ والدُّجى لمىً[1] ... بَدا فيهِ ثغرٌ للنجومِ شَنيبُ
كأنَّ لِزَنجيِّ الدجى من لهيبهِ ... ومن خَفْقِه قلبًا عَرَاه وَجيبُ
تَرَاه يُراعِى الصبْحَ ليلاً فإنْ دَنَا ... طلوعُ صباحٍ حَانَ منه غُروبُ
فَهل كَانَ يرعاها لِعشقٍ فَفرّ إذْ ... دَرَى أنّ روميَّ الصَّباحِ قَريب

وقال أبو الحسن بن النبيه :

حبَّذاَ فى الصِّيامِ مِئذَنَة الجَا ... مع والليلُ مُسبل أذْياله
خِلْتها والفَانوس إذْ رَفَعَتْهُ ... صائِدًا واقفًا لِصَيْدِ غزَالَهْ

وقال مظفر الأعمى :

أَرى عَلَمًا للناسِ فى الصَّوم يُرفَعُ ... على جامعِ ابن العاصِ أعْلاه كَوْكَبُ
وما هو فى الظَّلْماء إلاّ كأنَّهُ ... على رُمْحِ زَنجيٍّ سنَانٌ مُذَهبُ
ومن عجبٍ أنَ الثّريا سَماؤُها ... مع الليل تُلْهِى كلّ مَنْ يَترقبُ
فَطورًا تُحَيِّيه بباقةِ نرجسٍ ... وطورًا يُحيِيهَا بكأسٍ تَلَهّبُ
وما اللّيل إلا قانصٌ لغزالةٍ ... بفانوسِ نارٍ نحوهَا يَتطَّلبُ
وَلمَ أَرَ صَيادًا على البعدِ قَبْله ... إذا قَربُت منه الغَزالةُ يَهْرَبُ

ومن أقوالهم فى الفانوس ما قاله ابن فوطيه :

نَصَبُوا لواءً للسَّحور وأوقدُوا ... فى رأسهِ نارًا لِمنْ يَترَصَّد
فكأنَّه سَبَّابةٌ قد قُمِّعَتْ ... ذَهَبًا وقَامتْ فى الدجى تَتَشَهّدُ

---

(١) اللمى : سمرة محببة فى الشفاه . وشنيب ذو الشنب وهو برد ، وعذوبة ولمعان فى الأسنان .

وقال شهاب الدين يعقوب :

رَأَيْتُ المَنَارَ وجُنحَ الظلامِ ... من الجوّ - يُسْدِلُ أَستَارَهُ
وَحَلَّقَ فى الجوِّ فانوسُهُ ... فذهَّب بالنّورِ أقْطَارهُ
فقلت (المحلِّقُ) قد شبَّ فى ... ظلامِ الدَّجى للقرى نارهُ
وَخِلْت الثُّرَيَّا يدًا والنجومَ ... ورقًا غدا البَدْر قِسطَارهُ
وخِلت المنارَ وفانُوسَه ... فتًى قام يصرِف ديناره

وقال أبو يحيى السولى :

وليلةٍ مُلئتْ أَشْداقُها لَعسًا ... واستوْضحَت غُررٌ من ثَغْرِهَا شنَبا
ولاحَ كوكبُ فانوسِ السَّحور عَلَى ... إنسانِ مُقلتها النجلاء واشْتَهبَا
حتى كأنَّ دُجاها وهو مُلتهبٌ ... زنْجية حملتْ فى كفِّها ذَهبَا

ويقول ابن الظافر :

وليلةِ صَوْمٍ قَدْ سهرتُ بجُنحها ... على أنَّها من طُولها تَعْدل الدهرا
حَكَى اللَّيْلُ فيها سَقْفَ ساجٍ مُسمَّرًا ... مِنَ الشُّهبِ قَدْ أضحت مَساميره تبرا
وَقَام المنارُ المشرقُ اللَّون حَاملاً ... لفَانُوسِهِ والليل قَد أظهَرَ الزهرَا
كما قَامَ رُومىٌّ بكأسِ مُدامةٍ ... وَحَيّا بها زَنجيةً وُشحتْ دُرًّا

ولشعراء الغناء فى العصر الحديث أغنيات كثيرة خصوا بها فانوس رمضان ، يحملها لنا الأثير كلما أقبل الشهر الفضيل .

كتب إمام الشعر العامى بيرم التونسى :

يا قمر طالع (أيوحا) ... بفانوس والع (أيوحا)
أنت حبيبى (أيوحا) ... املالى جيبى (أيوحا)
سكر أحمر (أيوحا) ... وزبيب أسمر (أيوحا)

وأنا ادعيلك في يوم عيدك امتى أجيلك

ويـــــاأموره (أيـوحــــا) في المقصـوره (أيـوحـــا)
زى الـوردة في البـنـدوره
احـنـا جيـنـا طلى عـلـيـنـا
بيتك عمران بياميش رمضان إدينا حفان

رمضـان غـالى (أيـوحـا) كـلـه تسـالى (أيـوحـا)
فـيـه الـفـرحـة (أيـوحـا) شـجـرة طـارحـة (أيوحا)
طارحة بندق
طارحة فستق
في خشاف عايم ويامكارم لك ياصايم

الأغنية الرمضانية

لرمضان فى التاريخ الإسلامى منزلة استمدها من اختصاصه بهذا النوع الروحى من العبادة ، فقد فرض فيه الصيام وسيلة لتأديب النفس ، وتهذيب الخلق ، وتحطيم الأثرة ، وتحرير الإنسان من عبودية العادات ، والتعاون على البر ، والتسابق فى الخير ، والمناصرة فى الشدة .

وقد كان الناس فى أيام الرسول الأمين عليه أفضل الصلاة والسلام ، وفى عهد الخلفاء الراشدين ، يتخذون من رمضان موسمًا كريمًا لعبادة الله يتسابقون فيه إلى رحمته ، ويتجهون إليه لتوثيق ما وهى بين القلب والدين بصوم الجوارح عن كل مكروه ، وتعويض ما فات بإصلاح ما فسد ، وتقويم ما اعوج من السلوك طوال العام ، ونهى النفس عن الهوى حتى تصفو بالتقرب إلى الله عز وجل .

كان المسلمون يعيشون نهار رمضان فى عبادة ، ويحيون لياليه فى المسجد الحرام

يصلون ، ويتلون القرآن الكريم ، وينشدون الابتهالات ، وكتاب الله لهم نور ، وسنته وأحكامه لهم دستور .

ولم يكن عصر بنى أمية إلا امتدادًا لعصر الخلفاء الراشدين . فقد كان موقف الخلفاء فيه من الصوم موقف الرقيب ، لا تغفل له عين عن أخذ المفطرين بالعقاب . وكان التشدد فى أمور الدين يدخل فى نطاق الأعمال التى يكلف بها المحتسب . . . .

لقد كان المسلمون يجتمعون فى المساجد ليلا يتدارسون الفقه والحديث ، وكان فقهاؤهم حريصين على تزويدهم بالمفاهيم الجديدة التى نزل بها القرآن الكريم .

ولقد بلغ من أمر تمسك الخلفاء بدينهم ، وتشددهم فى أموره ، أن قدم الشعراء إلى باب عمر بن عبد العزيز فقاموا به أيامًا لا يؤذن لهم فى الدخول ، حتى قدم عدى بن أرطاة عليه وكان منه بمكانة ، فتعرض له جرير قائلا :

يأيها القارئ المرخى عمامته ... هذا زمانك إنى قد مضى زمنى
أبلغ خليفتنا إن كنت لاقيه ... أنى لدى الباب كالمشدود فى قرن
لا تنس حاجتنا لقيت مغفرة ... قد طال مكثى عن أهلى وعن وطنى

قال :

نعم ياأبا عبد الله . . . فلما دخل على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قال :
ياأمير المؤمنين . . الشعراء ببابك ، وألسنتهم مسمومة وسهامهم صائبة .
قال : مالى وللشعراء .

فقال : ياأمير المؤمنين إن رسول الله عليه الصلاه والسلام مدح فأعطى . وفيه أسوة لكل مسلم .

قال عمر : صدقت فمن بالباب منهم ؟

قال : الأخطل التغلبى .

قال عمر : أليس هو القائل :

ولست بصائم رمضان عمرى ولست بآكل لحم الأضاحى
ولست بزاجر عيسًا بكورًا إلى أطلال مكة بالنجاح
ولست بقائم كالعبد يدعو قبيل الصبح حى على الفلاح
ولـكنى سـأشربها شـمـولا وأسجد عند منبلج الصباح

أبعده . . أبعده الله عنى ، فوالله لا يدخل علىّ أبدًا ، ولا وطئ لى بساطًا وهو كافر . . .

ولذلك لم يكن للأغنية الرمضانية مكان فى شهر رمضان . وحتى فى ظل دولة بنى العباس ، لم نجد كذلك لها مكانًا – فرغم عناية الخلفاء بالفن ، وشغفهم به ، وحبهم للموسيقى والغناء ، لم ترد الأغنية الرمضانية على ألسنة أساطين الغناء ، مثل إبراهيم الموصلى أو علية بنت المهدى أو دنانير وغيرهم ، ممن كانوا يملئون عصر بنى العباس شدوًا وغناء ، ذلك لمنزلة رمضان ، فللدين فيه سلطانه الذى يعلو كل سلطان ، وللخلق والفضيلة مكان أعزز به من مكان .

ثار هارون الرشيد وأمر بحبس أبى نواس حين مد عينه لشهوة الحياة ، وأغوته فتنتها عن سبيل الله إذ قال :

لو كان لى سكن بالراح يسعدنى		لما انتظرت بشهر الصوم إفطارا
الراح شىء عجيب أنت شاربه		فاشرب وإن حملتك الراح أوزارا
يامن يلوم على صهباء صافية		صر فى الجنان ودعنى أسكن النارا

وحتى فى عصر الفاطميين ، وعلى الرغم مما استجد فيه من البدع ، وعدم التشدد فى أمور الدين ، كما كان فى عهد الخلفاء الراشدين ومن جاء بعدهم . . . وبالرغم من كثرة ما قيل من شعر فى استقبال رمضان ، وفانوس السحور وموائد الكنافة والقطائف ، وبالرغم من مظاهر الأبهة والجلال فى أعيادهم ولياليهم التى كان منها عيد الفطر ، وعيد الأضحى ورأس السنة ، وأول العام ، ويوم عاشوراء ، وليلة مولد الرسول الكريم وغيرها .

هذه الأعياد التى رثاها عمارة اليمنى بعد انقراضهم بقصيدة وصف فيها مواكبهم وحكى عن مكارمهم ، وجلى محاسنهم قال :

[دار الضيافة] كانت أنس وافدكم
واليوم أوحش من رسم ومن طلل
و[فطرة الصوم] إذ أضحت مكارمكم
تشكو من الدهر حيفًا غير محتمل
و[كسوة الناس] فى الفصلين قد درست
ورث منها جديد عندهم وبلى
وموسم كان فى يوم [الخليج] لكم
يأتى تجملكم فيه على الجمل

عبد اللطيف تحقيقًا جاء فيه :

« قد لا يعرف الكثيرون أن وحوى أقدم من رمضان وعادات رمضان ، وأنها من الأغانى التى كان يرددها قدماء المصريين على ضفاف النيل ، منذ آلاف السنين فهى تحمل معنى من تاريخنا ودلالة من دلالة أساطيرنا .

فأيوحه مأخوذة من [أيوح] اسم القمر فى الفرعونية وكان [الساميون] يسمون الشمس [أيوح] ومنه [يهوه] اسم الله المقدس عند اليهود . كما كانوا يسمون القمر [أجع] ولكن المصريين نقلوا عنهم اسم القمر للشمس ، واسم الشمس للقمر فكانوا يغنون هذه الأغنية تحية للقمر إذا أهل فى مطلع كل شهر » .

ولم تعرف الأغنية الرمضانية فى أيام المماليك والعصر التركى بمفاهيمها ، ولم نسمعها إلا على ألسنة الرواة والمداحين ، ينشدونها فى سهراتهم فى حى الحسين كالملاحم الشعبية وقصص البطولة والمواويل التى كان منها :

يالى عليك الفرض يوم العرض مش سائل
بكره عليه تنسئل والرب لك سائل
احسب حساب وقفتك وأنت ذليل سائل
وخجلتك فى القيامة بين ايدين الله
من العرق فى غرق والدمع لك سائل

ولم نستمع من المطربين من أمثال عبده الحمولى ، وسلامه حجازى ، وسيد درويش ، ومحمد عثمان وغيرهم ممن جاءوا فى أواخر القرن الماضى ، وأوائل هذا القرن ، أغنيات عن رمضان ، اللهم إلا بعض نصوص هابطة فى مبناها ومعناها

جاءت على ألسنة صغار المطربين .

والأغنية الوحيدة التى اشتهرت عن رمضان أيام الإذاعات الأهلية . هى أغنية (وحوى) التى كتبها حسين حلمى المانسترلى وغناها أحمد عبد القادر .

تقول كلماتها :

وحوى وحوى إياحه
رحت يا شعبان إياحه
وحوينا الدار جيت يا رمضان
وحوى

* * *

هل هلالك والبدر أهو بان
شهر مبارك وبقاله زمان
ما احلى نهارك بالخير مليان

جيت بجمالك سقفوا يا عيال
م احلى صيامك فيه صحة وعال
نفدى وصالك بالروح والمال
طول م نشوفك قلبنا فرحان
فى الدار خيرك أشكال والوان
بكره فى عيدك يلبسوا فستان

* * *

هاتى فانوسك ياأختى ياإحسان
آه يانونوسك فى ليالى رمضان
بابا يبوسك وماماكى كمان
وحوى

ولم يلمع النص الجيد للأغنية الرمضانية إلا مع نشأة الإذاعة المصرية عام ١٩٣٦ ، وتكليفها الشعراء ومؤلفى الغناء بوضع الأغنية الرمضانية . فمن خلال الأثير استمعنا إلى قصيدة رمضان للشاعر محمود حسن إسماعيل من لحن محمد القصبجى وغناء آمال حسين :

ليال حسان
وشهر أمان
رعى الله فيه عيون الزمان
فما فيه شكوى لقلب يتيم
ولا بائس لم يزره النعيم

سقى الله أيامه بالحنان
وأجرى بكفيه سحر الأذان
نداء رخيم وصوت رحيم
وطهر ينور قلب الزمان

ليالى صفاء
ودنيا غناء
ونور يهل بين الفضاء
وترتيل ربى يهز القلوب
ويمحو من الأرض خطو الذنوب

وفوق المآذن يهفو الضياء
وفى كل قلب يرن الدعاء
دعوناك يارب رد الخطوب
وبارك خطانا بنور السماء

وهكذا تطورت كلمات الأغنية الرمضانية . . . لم تعد وحوى ولا أيوحه ، وإنما أصبحت كما أبدعت ريشة الشاعر عبد الفتاح مصطفى :

ما بقاش وحوى ولا أيوحه
بقى مستقبل مرسوم لوحه
فى الجيه قصادنا وفى الروحه
وطريقنا طريق واضح ومضىء
من غير عصبية ولا تفريق
نعلا ونكبر

رمضان الخير لياليه بتدور
وتوحدنا وجدان وشعور
وقلوبنا تكون عقد ومبدور
يوصلها ويجمعها على نور
نور مالى الأرض مع السموات

وقلوبنا اكتر
الله أكبر

رمضان الذى حمل البر للمسكين ، وملأ القلوب بنور اليقين ، كما صوره لنا الشاعر محمود حسن إسماعيل فى أغنيته توبة الزمن :

سلاما ناسك الزمن
حبيب الروح والبدن
سلام النور والإيمان سلام الحب يارمضان
سلام الطائر الظمآن لنبع لاح فى البستان
سكبت النور للأكوان وزاد الروح للإنسان
ورحت تعطر الأكوان
وتوقظها من الوسن
حملت البر للمسكين وللعاصى مددت يمين
وسقت لقلبه البشرى بعفو كان عنه ضنين
بنور هدى وصدق يقين
أضأت سريرة الزمن

أذانك توبة الأيام وفجرك منبع الإلهام
ويومك رحمة وسلام وليلك سجدة وقيام
فهات البر والأنعام
وجدد فرحة الزمن

بجودك غنت الحسنات ورنت حولك الصلوات
وحلت فوقك الرحمات ينابيعًا من الجنات
تبيد بظلها الشهوات
وما فيها من الفتن

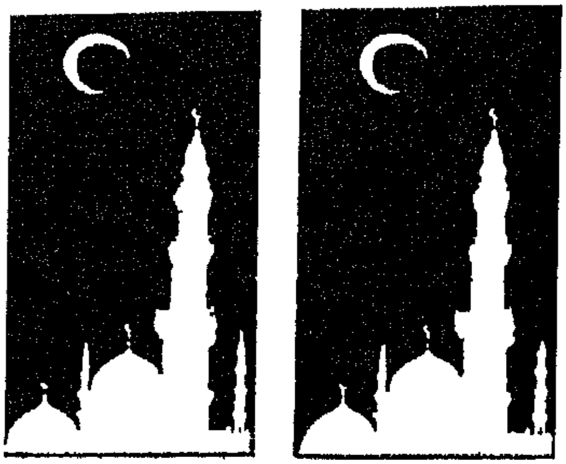

التسحير

أيها النَّوام قوموا للفلاح واذكروا الله الذى أجرى الرياح
إن جيش الليل قد ولى وراح اشربوا عجلى فقد لاح الصباح
تسحروا غفر الله لكم تسحروا فإن فى السحور بركة ...

نداء حبيب يتردد فى الهزيع الأخير فى كل ليلة من ليالى شهرنا المبارك طارقًا القلوب والأسماع داعيًا النائمين إلى طعام السحور ، الذى يعين الصائمين على الصيام .

قال الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام : (تسحروا فإن فى السحور بركة)[1] .

(١) السحور بفتح السين : اسم لما يؤكل من الطعام وقت السحر.
السُّحُور بضم السين : تناول الصائم لطعام السحور ، وسمى كذلك لاشتقاقه من السحر وهو الوقت الذى يقع بين الفجر الصادق والكاذب .

وقال (لا تزال أمتى بخير ماعجلوا الفطور وأخروا السحور) والتسحير هو إيقاظ النوام فى رمضان كى يأكلوا ويشربوا ، قبل أن يتبينوا الخيط الأسود من الخيط الأبيض . .

وكان المسلمون فى أول أيام الرسول يأكلون ويشربون من الغروب حتى يجئ وقت النوم ، فإذا نام أحدهم فقد بدأ صيامه ، حتى ولو استيقظ قبل الفجر بقليل .

ولما كان الله تعالى جلت قدرته يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر ، فقد بين لهم مبدأ الصوم ونهايته قال :

(أُحِلَّ لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ماكتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل) .

ولما كانت شعائر الصلاة تؤدى ويؤمها الرسول عليه الصلاة والسلام بغير دعوة ، فقد اقترح أحد الصحابة أن تنصب راية للدلالة على مواقيت الصلاة ، واقترح آخرون استعمال البوق . . ولكن لم يرض الرسول عن استعماله وذلك لاستعمال اليهود إياه . . ثم استعمل الناقوس . . . وبينما هم كذلك إذ رأى عبد الله ابن زيد فى منامه شخصًا علمه الأذان ، فأخبر النبى بذلك فقال رسول الله :

[إنها لرؤيا حق إن شاء الله]

وأمره أن يلقيها على [بلال][1] ليؤذن بها لأنه أندى صوتًا ، وقد شارك بلال

---

(١) بلال : رضى الله عنه عبد حبشى من أكابر الصحابة ، ومن أوائل الذين أسلموا ولاقى فى مكة تعذيبا شديدًا على أيدى الكفار فى بداية الدعوة ، وقد اشتراه أبو بكر من =

فى تلك الفترة ابن أم مكتوم . وقد عرف فى أيام الرسول أن جواز الأكل والشرب بأذان بلال ، وأن المنع والتحريم بأذان ابن أم مكتوم .

فنى الحديث الشريف :

« إن بلالا ينادى بليل فكلوا واشربوا حتى ينادى ابن أم مكتوم » .

وممن اشتهروا بالتسحير : الزمزمى فى مكة ، وأبو نقطة فى بغداد .

كان الأول يتولى التسحير وهو فى صومعته بأعلى المسجد ، ومعه أخوان صغيران يحاورانه ويقاولانه .

« تسحروا غفر الله لكم »

« تسحروا فإن فى السحور بركة »

فيردد الطفلان ما قال .

وفى كل مرة ينادى بهذا النداء ، ثم يرخى طرف حبل جمعه فى يده فيتدلى منه قنديلان كبيران معلقان فى أعلى الصومعة ، فمن لم يسمع نداء التسحير يبصر بالقنديلين يهبطان ، فإذا لم يبصرهما علم أن وقت السحور قد فات .

أما [أبو نقطة] فقد كان يوقظ الخليفة الناصر فى بغداد وقد عرف ما يقال فى التسحير أيامه [بالقوما[1]] من قوله [نياما قوما قوما للسحور]

أو [قوما للتسحر قوما] .

= مالكه وأعتقه وكان مؤذن الرسول ﷺ وهو حى ، فلما انتقل إلى الرفيق الأعلى انقطع عن الأذان ، ولم يؤذن بعده إلا مرة واحدة حين حضر إلى المدينة من الشام ، وألح عليه المسلمون أن يؤذن فلما سمع أهل المدينة صوته ضجوا بالبكاء واستعادوا به أيام الرسول .

(١) القوما ضرب من المواليا ، ولا يكون إلا باللغة الدارجة ، وله عدة أوزان من =

ولما توفى [أبو نقطة] ذهب ابنه إلى بيت الخليفة فى رمضان ، وكان له صوت رقيق وأنشد :

يــاســيــد الســادات لك فى الكرم عادات
أنا ابن أبى نقطة تعيش أبويا مات

فأعجب الخليفة بذكائه وفطنته وأحله مكان أبيه . ومن أشهر ما قيل فى فن التسحير فى ذلك العهد :

لا زال عهدك جديد دائم وجدك سعيد
ولا بــرحت مــهــنــا بكل صوم وعيد
فى الدهر أنت الفريد وفى صفاتك وحيد
والخلق شعر منقح وأنت بيت القصيد
يامن جنابه شديد ولطف رأيه سديد
ومن يلاقى الشدايد بقلب مثل الحديد
لا زلت فى التأييد فى الصوم والتعييد
ولا بــرحت مــهــنــا بكل عام جديد
نحن لذكرك نُشيد بقولنا والنَشيد
ونبعث أوصاف مدحك على خيول البريد
ظلك علينا مديد ما فوق جودك مزيد
وكم غمرت بفضلك قريبنا والبعيد

= البسيط والسريع والمقتضب من بحور الشعر العربى المعروفة . ويقال إنه بدأ أول ما بدأ عند نكبة البرامكة أيام الرشيد مثله مثل المواليا .

عمرك طويل وقدرك وافر وظلك مديد
ولا برحت موقى كما يوقى الوليد
ما زال بِرك يزيد على أقل العبيد
وما برح جود كفك منا كحبل الوريد
ما زال بِرك يزيد دايم وبأسك شديد
ولا عدمنا نوالك في يوم فطر وعيد

وأول من صاح فى مصر بالتسحير هو (عنبسة بن إسحاق) والى مصر فى سنة ٢٣٨ هجرية ٨٥٢ ميلادية . ويؤثر عنه أنه كان يذهب على قدميه من مدينة العسكر فى الفسطاط إلى جامع عمرو بن العاص ، وكان ينادى بنفسه على الناس بالسحور .

وكان التسحير بالجامع فى فترات متفاوتة . وتتردد الأهازيج على أربع مرات . فنى التذكير الأول ينشد المنشدون :

أيها النوام قوموا للفلاح واذكروا الله الذى أجرى الرياح
إن جيش الليل قد ولى وراح وتدانى عسكر الصبح ولاح
اشربوا عجلى فقد جاء الصباح
معشر الصوام يابشراكم ربكم بالصوم قد هناكم
وجوار البيت قد أعطاكم فافعلوا أفعال أرباب الصلاح

وفى التذكير الثانى :
تسحروا رضى الله عنكم : كلوا غفر الله لكم .
كلوا مما فى الأرض حلالا طيبًا . كلوا من الطيبات واعملوا صالحًا ، كلوا من

رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور .

التذكير الثالث :

يامدبر الليالى والأيام ، ياخالق النور والظلام ، ياملجأ الأنام ياذا الطول والإنعام رحم الله عبدًا ذكر الله ، رحم الله عبدًا شكر الله ، رحم الله عبدًا قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

التذكير الرابع :

اشربوا وعجلوا فقد قرب الصباح . اذكروا الله فى القعود والقيام . وارغبوا إلى الله بالدعاء والثناء . اشربوا وعجلوا فقد قرب الصباح .

أما عن التسحير خارج الجامع ، فيذكرون أن أول من سحر على الطبلة هم أهل مصر . وكان أهل الإسكندرية وبعض البلاد العربية كاليمن والمغرب يسحرون بدق الأبواب بالنبابيت . . أما أهل الشام فكانوا يطوفون على البيوت يسحرون بالعزف على العيدان والطنابير مرددين تلك الأهزوجة :

رب قدرنا على الصوم
واحفظ إيماننا بين القوم
وارزقنا اللحم المفروم
عبدك ما إيله أسنان

ومن تقاليد رمضان وعاداته فى الجيل الماضى أن يمر المسحراتى بطبلة منشدًا المواعظ محييًا سكان الحى مناديًا عليهم بأسمائهم .

ومن أشهر الأزجال التى قيلت عن التسحير ، زجل للشيخ محمد النجار قال :

أنا المسحر جيت أطبل لكم حافظ أساميكم صغير مع كبير
فى كل ليلة لى على كل بيت اللى من الذمة خرج للفقير
ولى عدية عندكم كل عيد الكعك وكفوف الشريك والفطير
أجى أصحيكم وانتم نيام وقت السحر عن كل خير غافلين

وفى الأيام الأخيرة من الشهر المبارك يردد المسحر فى صوت ملؤه الأسى والحزن عبارات التوحيش :

لا أوحش الله منك ياشهر الصيام
لا أوحش الله منك ياشهر القيام
لا أوحش الله منك ياشهر الولائم
لا أوْحَش الله منك ياشهر العزائم
لا أوحش الله منك ياشهر الكرم والجود

وكانوا يرددون :

ياصائمى رمضان فوزوا بالمنى وتحققوا نيل السعادة والغنى
وثقوا بوعد الله إذ فيه الهنا أو ليس هذا القول قول إلهنا
الصوم لى وأنا الذى أجزى به

* * *

من صام نال الفوز من رب العلا وبوجهه أضحى عليه مقبلا
يامن يروم توسلا وتوصلا صم رغبة فى قول رب قد علا
الصوم لى وأنا الذى أجزى به

وقد أنكر بعض العلماء التوحيش ، وبعض البدع والعادات فى السحور . . . وقالوا يجب أن تستبدل هذه الكلمات بالمواعظ التى تهدى الإنسان إلى طريق الخير والرشاد .

ومن أشهر من كتبوا فى التسحير فى العصر الحديث ، إمام فن الزجل محمود بيرم التونسى .

قال :

أنا امدح المولى الغفور الودود
اللى تجلت رحمته فى الوجود
الأرض والسموات على شهود
أشهد له سبحانه بعز سلطانه
ومن صميم قلبى أشكر له إحسانه
يامؤمنين وحدوا الله
لا إله إلا الله

سبح إله العرش واخضع إليه
هو الوحيد اللى انت رزقك عليه
الملك والملكوت عطية إيديه
لو مرة ينظر لك لابد يغفر لك
ويدخلك جنة فيها ما تتمنى
يامؤمنين
يامؤمنين
يارب تلطف بالعباد فى قضاك

انت اللى مالك من شريك فى علاك
تبلغ الصايم نهاية رحمتك ورضاك
وتحفـــــظ الإسلام على مدى الأيام
واللى اعتماده عليك يـــارب لا يـنضـــام

سبحانه من خلى الأهلة تدور
والشهر بالخيرات علينا يدور
ياصايمين لاحت نجوم السحور

على السحور ياللا قبـل الأوان ياللا
صوموا بأمر الله والأجر عند الله

وكتب الشاعر أحمد مخيمر، وهو نادرًا ما يكتب العامية هذا الزجل الذى يعتبر من أروع ماكتب فى المسحراتى :

ياروح من فوق نازل هايم
يـقول لـلصـاحى والـنـايم
مـفـيش دايم غير الـدايم

روايح هـبـت م الجنـة يـســاعـز اللى ح يتمنى
وأنا يارب باتمنى
أشوف نورها وأطول خيرها وأطوف فى الضل مع طيرها
ومين ح يفوز غير الصايم ؟

يامدبولى ياعبد الله يابخته من بنى وعلا
وشاف نوره بيتجلى
ونام ساعة وقام ساعة وقال دى الدنيا خداعة
م فيش دايم غير الدايم
ياعم أمين ياعم حسين صلاة الزين صلاة الزين
دموع العين على الخدين
وأنا قلبى يصلى له وع البازه يغنى له

* * *

ياحجه اصحى وصحيهم دا صوم رمضان ح يهديهم
وح يبارك لكم فيهم
وح يوريهم السكة وفين نمشى على مكة
ومن زارها رجع غانم

ويدلنا التاريخ ، على أن النداء التقليدى فى السحور لم يكن مقصُورًا على الرجال . . فقدكان هناك بعض المسحرات الفاتنات يقمن بهذا العمل ، فتغزل فى إحداهن الشاعر زين الدين بن الوردى ، ووصفها بأنها شمس تطلع فى وقت السحور ، فكيف يأكل الناس والشمس طالعة .

قال :

عجبتُ فى رمضانٍ من مسحرة
قالتْ ولكنها فى قولها ابتدعتْ
تسحروا ياعبادَ اللهِ قلتُ لها
كيف السَّحورُ وهذى الشمسُ قد طلعتْ

المراجـع

- الأغانى لأبى فرج الأصفهانى
- عيون الأخبار لابن قتيبة
- صبحي الأعشى للقشلقندى
- الذخيرة لابن بسام
- لسان العرب لابن منظور
- الكامل لابن المبرد
- رمضان فى الشعر العربى والفارسى والتركى
  د. حسين نجيب المصرى
- ديوان ابن الرومى
- ديوان أبو نواس
- ديوان محمود حسن إسماعيل
- يتيمة الدهر للثعالبى
- مهذب رحلة ابن بطوطة
- مجموعات – دار الهلال – جمعية الشبان المسلمين – العربى بالكويت – الإذاعة المصرية – منبر الإسلام .
- زهرة الآداب لأبى إسحاق الحصرى .

فهرس

	الصفحة
بين يدى رمضان	٧
الصيام	١٨
الصوم فى الإسلام	٢٤
الصيام والصحة	٢٩
الصوم فى اللغة	٣٢
رمضان فى الشعر العربى	٣٧
الكنافة والقطايف	٦٣
من طرائف رمضان	٨٩
رمضان فى المحكمة	١٠١
فانوس رمضان	١٠٧
الأغنية الرمضانية	١١٧
التسحير	١٣١

رقم الإيداع	١٩٨٦ / ٣٤٠١
الترقيم الدولى ٩٧٧-٠٢-١٦٧٤-٧	ISBN

١ / ٨٦ / ١٠٠

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

اقرأ

بهذا الفعل الجميل (اقرأ) : تدعوك دار المعارف إلى قراءة تراث هذه السلسلة العريقة .. بأقلام كبار كتابنا .. لتعيش معهم .. كما عاش الآباء والأجداد .. وتكوِّن فى مكتبتك موسوعةً متفرقة فى فروع المعرفة المختلفة .

وإيمانًا منا بأن القراءة هى أقصر الطرق إلى الوعى والثقافة .. فقد يسَّرنا لك ذلك فى إخراج جيد .. وسعر زهيد .

٤٠٥٣٨٩/٠٢
٣٥٠٠

Thanks to
assayyad@maktoob.com

To: www.al-mostafa.com